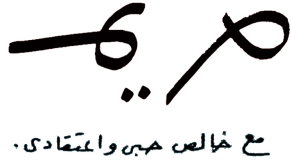

مع خالص حبي واعتقادي.

هذا العمل، وثائقي بحت، وكل أحداثه وشخصياته واقعية، وأي تشابه بينه وبين الخيال أو الأدب هو من الصدفة، لذا وجب التنبيه.

مريم .. مع خالص حبي واعتقادي
أحمد عطاالله

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي :
MOMENTO DESIGNS

المراجعة اللغوية:
عبدالرحمن والي

الطبعة السادسة مايو ٢٠١٥

رقم الإيداع: 9821/2015
ISBN: 978-977-5038-62-3

الناشر
كتابى للطباعة والنشر والتوزيع
تليفاكس: ٢٧٨٧٩٧٩١ ٠٢ ٠٠٢
E.mail: Kitaby@yahoo.com
١١ شارع ابن الغنام - الظاهر - القاهرة
المدير العام : محمود فاروق

حين أموت، تأكدي أنني بذلت كل ما في وسعي لأبقى معك.

حضرتك تعرف الفدائي؟

الفدائي مابيهموش إنه يعيش أو يموت، اللي يهمه إنه ينفذ المهمة المكلف بيها عشان قناعاته، وإيمانه.

الفدائي ممكن يحيد عن تعليمات القائد بتاعه أثناء تنفيذه للمهمة، لو التعليمات دي اتعارضت مع اللي بيؤمن بيه، وماتفقتش مع اللي مصدقه واللي شايفه صح.

الفدائي عقله شغال، مش قطعة شطرنج.

أنا مش فدائي.

أنا واحد بيحاول يلحق قلبه.

أول فصل

١٩٩٢ - ٢٠٠٤

أنا مهندس ميكانيكا، موشوم على إيدي صليب. يعني مسيحي.

علاقتي بربنا زي علاقة أي إنسان - المفروض إنه - طبيعي، بـاعمل شغلي وآخر النهار، بالليل كده قبل ما أنام، بـادعي: "يا رب أنا طبعـا مش ملاك، أكيد فيا أخطاء، بس أنت أكيد بتسامح".

عمري النهارده ٤٤ سنة.

كل السنين دي عدت مني، وأنا وسط أصحابي، المهندس محمد يونس، المهندس مصطفى محمود، ومحمد علي، وهاني إسماعيل. في الشغل .. في الجيرة .. على القهوة، في كل حتة.

وفي كل تصرفاتي معاهم أو مع غيرهم، ما عنديش فرق ما بين مسيحي ومسلم.

لما بنيجي نتقابل، بنقول: "يوم الجمعة بعد الصلاة".محمد بيصلي في الجامع، وأنا بـكون في الكنيسة، نخلص ونتقابل، نتغدى ونقعد في أي كافيه، نقضي اليوم كله، ونروَّح على الساعة واحدة اثنين بالليل.

تاني يوم، كل واحد فينا بيروح شغله، كل واحد فينا في مكان تاني.

•••

أنا من الجيزة.

جيراني، كل الجيران، إخواتي. علشان كده في البيت اللي أنا ساكن فيه، وفي البيوت اللي حواليه، ليا إخوات كتير: مصطفى، وشريف، وعوض، وسامح ومحمود..

وهي .. إنسانة من جيراني.

كانت صاحبة أختي إيفون .. من سنها، كانت معاها في ابتدائي وإعدادي، وفي ثانوي إيفون دخلت عام، وهي دخلت تجاري.

وقت ما كنت في هندسة كانت هي في مرحلة الدبلوم التجاري، وكانت بتشتغل بعد المدرسة في محل تحت بيتنا، وأنا طالع، وأنا نازل، بسلم عليها.

عادي .. زي إيفون.

لأ، مش عادي، ومش زي إيفون.

ابتديت أحس بإعجاب ناحيتها، بس ما كلمتهاش في حاجة خالص، لأن ببساطة، وطبقـا للي كنت فاهمه وقتها: الموضوع ده لا، مش هـينفع.

وفضلت كتير معجب بيها إعجاب صامت. من غير صوت.

ولما كنت بـاروح أشتري حاجة من المحل، كنت بحس منها باهتمام خاص، مش علشان أنا جار، فيه جيران كتير بيشتروا من عندها حاجات، ممكن تخليهم مستنيين، لما تخلص اللي في إيديها. لكن معايا أنا .. لأ، كانت بتسيب أي حاجة، علشان تجيب لي الحاجة اللي أنا عايزها، وعليها .. ابتسامة.

كنت عارف إنها بترتاح لي.

لكن برضه ارتياح صامت، من غير صوت.

•••

اتخرجت من الجامعة سنة ١٩٩١، ما دخلتش الجيش. أخدت معافاة نهائي واشتغلت مهندس، اشتغلت في مجال التركيبات في القرى السياحية؛ مغاسل، مطابخ، معدات، أجهزة تكييف مركزي، غلايات، كنت متخصص أكتر في الغلايات والمغاسل. شغلي معظمه في الغردقة وشرم الشيخ ومرسى علم وسفاجا.

شغلي كله سفر، وفي السفر وفي الشغل، لاحظت إن فيه أجنبيات بيتجوزوا من مصريين بسهولة. عادي، واحدة بتتعرف على واحد، بتروح معاه مكتب محامي تعمل عقد وتتجوز، وبعد كده توثقه برا، ممكن تسافر بلدها وتاخده معاها .. مفيش مشكلة، وممكن يفضل في مصر، وكل سنة تيجي تقعد معاه شهر وتمشي، برضه مفيش مشكلة. في الفترة دي الأسرة بدأت تكلمني إني المفروض أرتبط.

مين الإنسانة اللي المفروض أرتبط بيها؟

فكرت كتير، ووصلت في الآخر لإجابة واحدة: الإنسانة اللي ليها في قلبي مشاعر. أنا هاعيش مرة واحدة. ولأني هـاعيش مرة واحدة مش عايز أتجوز علشان لازم أتجوز، لازم يكون فيه

ألفة وود واحترام.

وحب.

حواليا مسيحيات كتير، منهم جميلات جمال باهر، منهم اللي بييجي عندنا البيت، ويقعدوا مع إيفون بالساعات، ويكلموني. مفيش واحدة لفتت نظري.

كنت كل ما أدور جوايا، مـالاقيش غير صورة مريم.

•••

مريم سابت شغلها في المحل اللي تحت بيتنا، اشتغلت في مكان بعيد.

من بعد ما خلصت الدبلوم، وهي بتشتغل، ما عندهاش غير يوم واحد بس أجازة. وإيفون كملت تعليمها ومشغولة في الدراسة. ومع ذلك التواصل العادي لسه موجود، في المناسبات والأعياد.

من بعد تخرجي ولغاية ٢٠٠٢، وأنا بسافر شغلي وأرجع، وأسافر وأرجع، كنت بـقابل بنات أجانب كتير.

بحكم شغلي كمدير مشروعات، كان مسموح لي أقيم في الفندق اللي أنا بـ اشتغل فيه، إقامة كاملة علي حساب صاحب

الفندق، أدخل المطعم، أتغدى مع الجيست، أشرب في الكافيه أو البار

أي حاجة، ما عدا المشروبات الكحولية علشان غالية.

كتير كنت بابقى قاعد، أيام الزحمة، أيام ما كان فيه نهضة سياحية، وتيجي واحدة تقعد قدامي، تاكل، تتكلم، تسأل. أنا باتكلم إنجليزي بطلاقة، تسألني مثلا: إيه الأماكن الكويسة اللي ممكن تزورها في شرم الشيخ. أوصف لها أماكن، تقول لي: ما أعرفش حد وجاية لوحدي.

كان عندي فرص كتير إني أرتبط وأسافر.

وفي شغلي كان فيه مهندسات.

مثلا، كنت شغال في مشروع، الاستشاري الأمريكي المشرف عليه، بَعت لنا مهندسة أمريكية من مكتبه عشان تتابع الشغل.

جاسيكا، كان عندها ٢٥ سنة، وأنا في الوقت ده ٣٣ سنة. جاسيكا كانت مسئولة عن متابعة شغلي مع أشغال تانية، ولما اتعاملت معايا، وعرفتني، بدأت تزود صلتها بيا، كانت بتقصر في الشغل التاني، علشان تبقى قريبة مني، كانت بتحاول تلفت نظري ليها بأي طريقة.

وأنا، أنا حتى ما حاولتش أفكر في الموضوع، مجرد تضييع وقت، بنخرج، مرة أعزمها.. مرة تعزمني، لحد هنا مش أكتر.

مفيش راجل مابيحبش الستات، لكن فيه راجل بيبقي مقتنع إن فيه واحده بس من بين كل الستات، تكفيه عن كل الستات. وأنا ما كنتش شايف غير مريم.

•••

في ٢٠٠٢ كان عندي ٣٣ سنة، ومعايا شقة تمليك في ٦ أكتوبر، ومأجر شقة في القاهرة، وبفكر أعمل مكتب هندسي في وسط البلد، ومعايا عربيتي، ومبلغ معقول في البنك، يعني الأمور كويسة. الوالد والوالدة بدأوا يتكلموا معايا في إني أرتبط، زي أي أسرة عايزة تفرح بـ ابنها، وبدأوا مع إخواتي يرشحوا لي بنات. وفي الوقت اللي كان إلحاحهم بيزيد، حصلت حاجة غريبة.

•••

في مرة وأنا خارج بالعربية ورايح مشوار، لقيت الآنسة جارتي، مريم، فبسلم عليها وباسألها رايحة فين؟، وبـاعرض إني أوصلها كجيران. وصلتها قبل كده، ووصلت أخواتها، ولما والدتها كانت بتبقي تعبانة، كنت كتير بـ وصلها للدكتور، بحكم الجيرة والعشرة.

وفي الطريق سألتها: ما ارتبطيش؟

اتولد جوايا إحساس غريب وأنا بـ اسأل السؤال ده، إحساس مفاجئ من غير مقدمات، إنها ليا مش لحد تاني. لحد النهارده أنا مش عارف الإحساس ده جاني منين!

لا مفيش، مش لاقية حد كويس.

ومواصفاته إيه الشخص الكويس اللي ممكن تقبليه؟

حسيت إنها بتوصفني.. فكلمتها على طول: "طب إيه رأيك فيا؟"، قلتها وأنا بـ اضحك، الضحك اللي أبوه جد، قلتها وأنا بـ اسأل نفسي سؤال تاني: يا ترى هيكون رد فعلها إيه؟

كنا احنا الاتنين مرتبكين.

من أجمل أحاسيس الحب أرتباك البدايات.

ابتسمت وقالت لي: ياريت.

كلمة "ياريت" دي، أكدت لي أنها بتحس بنفس الإحساس اللي أنا حاسه.

وما كانش ينفع بعد كده إنه يكون إعجاب صامت، من غير صوت.

•••

ابتدينا نتكلم في الموضوع. قالت لي: " بس ما ينفعش، أنا مسلمة وأنت مسيحي".

وقفت العربية، وجبت حاجة ساقعة، وقلت لها: "لأ ينفع. احنا ممكن نسافر ونعيش برا، وأنا أعرف ناس كتيرة متجوزين كده، وعايشين بالطريقة دي، كانوا في مصر، ولأن الظروف مش بتسمح، سافروا واتجوزوا برا، إيطاليا.. اليونان.. قبرص.. لندن".

- "بس أنا ما ينفعش أسيب أهلي، لأني لو سبت أهلي هـابقي قليلة أصل، وأنا مش قليلة أصل".

هزتني جملتها، حسيت إن البنت دي جدعة جدا.

- "وأنا مش هقول لك غير كلمة واحدة بس، أنا هاعمل كل جهدي علشان أتجوزك في مصر، ولو مش هاقدر أتجوزك في مصر، مش هاتجوزك، بس برضه مش هاتجوز غيرك".

قالت لي: "بس بشرط، أنا مش هغيَّر ديني".

•••

أنا عايزك حرة. عايزك زي ما أنتِ. عايزك في بلدك، وسط أهلك. عايزك كإنسانة. وأنتِ كإنسانة إيمانك بربنا، ربنا سبحانه وتعالى هو اللي هيحاسبك عليه، وأنا إيماني بربنا، ربنا هو اللي هيحاسبني عليه. ربنا مش حد تاني. أنا عايزك "مريم". الإنسانة اللي أعيش معاها عمري الواحد.

سكتت وقالت لي: "طب بابا وماما؟".

- "خلاص أنا هآجي أكلم بابا وماما".

- "خلاص لما تكلم بابا وماما، نشوف ممكن نتصرف ازاي".

•••

أكلم والدها .. أقوله إيه؟ والدها .. إنسان محترم، طيب، كان صول في المرور، بيقف عند شيراتون القاهرة، عند كوبري الجلاء. بس علشان أتكلم معاه، كان لازم أكلم أهلي الأول، كان لازم يبقوا عارفين.

•••

سألتهم: "ينفع الواحد يتجوز أخته؟".

- لأ طبعـا .. حرام.

- لأ ليه؟ هما أولاد آدم مش اتجوزوا أخواتهم؟.

وبدأ النقاش:

- بس ربنا سبحانه وتعالى خلى كل أخ من ولاد آدم له أخت توأم، ولما حبوا يتجوزوا حصل بدل، كل أخ اتجوز الأخت اللي في البطن التانية، ما اتجوزش اللي كانت معاه، وأصلاً كل ده حصل لأن ما كانش فيه وقتها بشر.

- بس الكلام ده مش صحيح كله، لأن فيه حالات لـ أخ اتجوز أخته، بعد كده.

- دا فين الكلام ده؟

- في العهد القديم، لما سيدنا إبراهيم جه مصر وكانت معاه ستنا سارة، فرعون مصر لما شافها كان عايز يتجوزها. وعشان تخرج من الورطة دي، سيدنا إبراهيم قال لها: قولي إنك أختي علشان ما يموتونيش ويتجوزك. لكن ربنا سبحانه وتعالى أظهر لفرعون في حلم إن دي زوجة ابراهيم مش أخته، وفي الحلم رسالة أنه ما يمدش إيده عليه، ما يأذيهوش علشان ربنا ما يغضبش عليه، وفرعون جابه وسأله: أنت ليه كدبت عليا وقلت إنها أختك؟ قال له: الحقيقة إنها أختي بنت أبي

لكن مش بنت أمي، وقلت كده علشان خفت أتقتل. والكلام ده موجود في التوراة، في سفر التكوين.*(١)

- لكن حاليا ما ينفعش. بالإضافة لأنه حرام، فيه سبب تاني للمنع هو انتشار البشرية، ما حبكتش يعني. وعلمياً كمان غلط، كل الأبحاث اللي اتعملت عن الجينات الوراثية بتقول إن زواج الأقارب بيزيد من نسبة الأمراض.

- وأضيف على كلامكم، إنه عُرفاً كمان غلط. لأن المجتمع علشان يبقى صحي، لازم يقرَب من بعضه، والجواز بيقرب مسافات كتير بين الناس. والمفروض إننا نعمل على الانتشار والتواصل الصح، وده مش هيحصل غير بـ التبادل.

- ازاي يعني؟

- يعني، أنا أتجوز أخت المسلم وهو يتجوز أختي، لما يحصل جواز يحصل حب، والحب بيزود التواصل، الحب بيقرب الأفكار. المجتمع نفسه لا ينهض إلا بالحب.

- وفي الآخر، أنت عايز تقول إيه؟

- عايز أقول إن فيه واحدة مسلمة أنا مستريح لها وعايز أرتبط بيها.

•••

ما قلتش "مريم"، ما كنتش عايز أحط "سبوت" عليها، أولاَ علشان هي جارتنا، ثانياً أنا لسه ما اتكلمتش مع والدها في حاجة، ثالثاً والأهم أن أحياناً بيبقي الكتمان هو الحل الوحيد لما متلاقيش حد يفهمك.

•••

أهلي هما والدي ووالدتي وأخواتي.

والدي، موجه تعليم على المعاش، مُعلم أجيال، ومن تلاميذه لواءات في الشرطة والجيش، ودكاترة وأصحاب شركات ومصانع.

والدتي، ست بيت متعلمة، واخدة الدبلوم النسوي أيام الملك، تُعتبر زي خريجة معهد حالياً، تعرف عربي وإنجليزي وشوية فرنساوي.

إخواتي، واحدة محامية، والثانية خريجة معهد عالي، وأخ مهندس كهرباء، وأخ خريج كلية علوم. وكلهم، افتكروا إن كلامي اللي أنا قلتـه كان نتيجة احتكاكي مع الأجانب، وإن دماغي بقت شبههم.

ناقشوني كتير وفي آخر الحوار:

- "أنت حر، ورينا هتعمل إيه، ورينا شطارتك يا فالح".

•••

جه الوقت اللي أتكلم فيه مع الطرف التاني.

مناسبة عيد، رحت أتزاور وأعيِّد على إخواتها ووالدها ووالدتها. وبعد المعايدة العادية، طلبت أقعد مع والدها ووالدتها على انفراد، كان مصطفى موجود.

مصطفى، أخو مريم، أصغر منها بسنة، معاه دبلوم، كان متطوع في الجيش، عمله في العسكرية خلق عنده مبادئ الانضباط وزرع جواه مبادئ المساواة، مفيش فرق عنده ما بين مسيحي ومسلم، ودي نقطة خلتني ما أرفضش إنه يبقى موجود معانا.

اتكلمت ببساطة:

- ربنا سبحانه وتعالى يا حاج صالح بيسبب الأسباب، أنا جاي لك في موضوع.

- خير يا ابني؟

- لو فيه إنسان بيحب واحدة، هل الحب ده خطأ ؟ خطية يعني .. شر؟.

عم صالح، كان منتمي لجمعية صوفية دينية، وفي الصوفية

الحب الإلهي أسمى من أي حاجة في الدنيا، وعلشان كده قال لي: "الحب خير يا ابني".

"وعلشان الحب خير، وعلشان الحب من عند ربنا سبحانه وتعالى، أنا بحب مريم وعايز أرتبط بيها"، قلتها زي ما حسيتها.

ابتسم.. وبدأ يكلمني عن الحب الإلهي في الصوفية، عن أهل الهوى، عن الوصل والمَعية، والقرب، ومقامات الحب، عن إن المحبة شرط في استكمال الإيمان وتمامه، كما قال المصطفى: "لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُم حتى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ".عن إن الله – جل جلاله - يحب،

"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ" ،"وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ"، وقد ناجاه محمد – خير خلق الله- "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الذِي يُقرِّبُنِي إلى حُبِّكَ".

حكى لي حاجات هزتني من كتر صدقها.

وبعد ما خلص، في الآخر، قال لي: " بس ما ينفعش، أنت مسيحي وهي مسلمة".

•••

والدتها سكتت، وفضلت ساكتة لحد ما قلت: "بحب مريم وعايز أتجوزها"، عينيها اتملت دموع.

عم صالح قال لي: "مش هينفع لأن الإسلام بيمنع".

قلت له: أنا مش هاتكلم مع حضرتك دلوقتي في دين، بس القرآن الكريم بيقول في سورة النساء "وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ".

ربنا سبحانه وتعالى اللي بيرسل الأنبياء كلهم اسمه العدل. ولما مصطفى يقدر يتجوز دميانة، وأخو دميانة بيحب أخت مصطفى، بس ما ينفعش يتجوزها، يبقى ده مش عدل.

نمرة اثنين، أنا بادرس في الإسلام، وبادرس في الأديان، ولو لقيت إن رغبتي في الجواز من مريم، حاجة غلط أو شر، حاجة حرام.. أكيد مش هكمل.

مش ممكن أضيع الحياة الأبدية اللي هنبقى فيها مع المولى عز وجل، علشان سبعين ثمانين سنة أعيشهم على الأرض. لأن العاقل هو اللي يشتري الأبدية، مش يشتري السبعين ثمانين سنة اللي في الأرض.

•••

ليه الإسلام بيسمح بزواج المسلم من كتابية، وليه ما بيسمحش بزواج الكتابي من مسلمة؟

قعدت أدور ورا السؤال ده كتير. لقيت إن مفيش نص في القرآن بيمنع، القرآن الكريم بيقول في سورة البقرة، آيه ٢٢١:

«وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»، ثم يقول في سورة المائدة، آية ٥: « الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» ، في الأول منع الزواج من المشرك والكافر بشكل قطعي للرجل والمرأة معاً، ودي المساواة، ثم أباح النص زواج الرجل المسلم من المحصنات من أهل الكتاب، وطالما أُبيح للرجل فمن العدل والحق أن يُباح للمرأة، وفي النص إباحة لأن ما سُكت عنه فهو مباح، لأن الأصل في الأشياء الإباحة. ودي قاعدة فقهية، كمان من المعروف إن التحريم لا يقع إلا بنص، ومفيش نص بيحرَم زواج الكتابي من المسلمة، فيه فتاوى وآراء فقهية بتمنع (٢).

من وجهة نظري، سبب المنع. سبب عنصري من بقايا الجاهلية.

القبائل العربية كانت بتعتز بالنسب.. بالقبيلة.. بالشرف، ومن ضمن الاعتزاز ده إن احنا الأسياد، القبيلة التي تنتصر تأخذ نساء القبائل الأخرى، تأخذها جواري وليس زوجات، وإن أنجبت ذكرا تُرفع إلى درجة الزوجة.

كان الزواج بالمرأة نوع من الإذلال للقبيلة المنهزمة، والمنهزم مش من حقه الزواج من الأسياد اللي انتصروا عليه. نظرة من بقايا الجاهلية، زيها زي وأد البنات قبل ما ييجي الإسلام، ويعيد للإنسان كرامته. النهارده، في بعض الأماكن، يقتلون المرأة من أجل الشرف، وفي ده إعادة لوأد الأحياء.

هو ربنا اللي بيحاسب ولا أنت، يمكن هي أخطأت أو عصت، بس برضه ربنا اللي هيحاسبها مش أنت.

•••

قبل ما أدخل في جدلية الشريعة أنا باتكلم في المطلق. والمطلق بيقول إن ربنا عادل، والله العادل لا يُحابي لأتباع محمد أو أتباع عيسى، الاثنين حسب ما يُقال ديانات سماوية، والاثنين أرسلهما سبحانه وتعالى، فكيف يُحابي رسالة عن رسالة؟

رد عليا الحاج صالح: بس فيه حديث للرسول صلى الله عليه

وسلم، بيقول فيه: «المسلمة لا ينكحها إلا مسلم».

فقلت له: أنا باستشهد بالحديث ده نفسه، لأن الإسلام ليس إلى الرسول، الإسلام إلى رب الرسول، وأنا مسلم إلى رب الرسول على رسالة عيسى ابن مريم، وأنت مسلم إلى رب الرسول على رسالة محمد بن عبدالله.

الإسلام إلى رب الرسول وليس لموسى أوعيسى أو محمد.

•••

قريت صحيح مسلم وصحيح البخاري، قريت تفسير الشيخ الشعراوي للقرآن، قريت للفقيه بن تيمية، ولفخر الدين الرازي، والطبري، وللمفكر الإسلامي الكبير ابن رشد. من أعظم الفلاسفة اللي الإسلام عرفهم، ابن رشد اللي قال: « التجارة بالأديان هي التجارة الرائجة في المجتمعات التي ينتشر فيها الجهل».

لما يكون فيه جهل وغوغائية، الفيلسوف لو جاهر برأيه ممكن يتقتل أو يتطرد أو يتحرق، زي ما كان هيحصل مع ابن رشد نفسه. عشان كده مواجهة الغوغائية عايزة حكيم يقدر يصمد قدامها.

قريت كتير، وكل ما أقرا أكتر، تزيد ثقتي في إن الله عادل. وإن

الرسول اللي ربنا قال عنه في سورة الأنبياء «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» لا يمكن أن يأمر بالتمييز العنصري.

محمد بن عبد الله، اللي قال- وكما جاء في صحيح مسلم - «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّه؟، قَالَ: الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

فهل يميز بين أتباعه وأتباع المسيح عيسى ابن مريم بعد ذلك؟

المسيحي اللي على رسالة عيسى ابن مريم، المسيحي.. الذي يؤمن بالمحبة والرحمة والعدل والمساواة، لا يستطيع أن يتزوج من مسلمة حتى لو كان صالح وعالم وحكيم، وحتى إن كانت هي – وآسف أن أقول هذا الوصف- داعرة، أو مريضة بالإيدز، أوعاقر. لا يستطيع .. لأنه مسيحي ولأنها مسلمة!.

هو ده عدل ربنا؟

•••

٦ شهور، كنت أقعد كل أسبوعين مع عم صالح على الأقل مرة، نتكلم ونتناقش.

في الأول الموضوع أذهله، لكن بعد كده، ولما لقاني مُطلع وعارف، وباستشهد بأحاديث وآيات من القرآن، أولاده مش عارفينها. بدأ يسمعني.

قلت له: «النجاشي» ملك الحبشة لما توفي، الرسول قال للصحابة صلوا عليه.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ : قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ تُوُفِّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ. وَلِلْبُخَارِيِّ: «فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ». وعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمُ النَّجَاشِيِّ» ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَأْمُرُنَا أَنْ نُصَلِّي عَلَى عِلْجٍ مِنَ الْحَبَشَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ»، سورة آل عمران، آية ١٩٩، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ زَيْد : نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ.

الرسول قال "أخيكم"، والرسول "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى".

النهارده المسلم لما تيجي تقول له: "إخواتنا المسيحيين"، يقول لك: "لا مش إخواتنا، احنا إخواتنا في الإسلام"، طب أنا مسلم غصب عنك وقبلك. وبدليل آيات القرآن الكريم نفسه.

ربنا سبحانه وتعالى قال في سورة المائدة الآية ١١١:

"وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آَمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آَمَنَّا

وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ".وفي سورة "آل عمران" الآية ٥٢، لما كان بيكلم اليهود: "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آَمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ".

مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة المائدة، يعني بنص القرآن..الحواريون مسلمون إلى الله حسب رسالة سيدنا عيسى، وإخواتنا المسلمين مسلمون إلى الله حسب رسالة سيدنا محمد.

لكن لماذا لا يؤمن النصارى برسالة محمد؟ ده موضوع شرحه يطول، وممكن نقعد نتكلم فيه سنين، زي ما اتكلم فيه ناس قبلنا سنين.

الإسلام لم يُكفر ولم يمنع المساواة، قال: "قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي"، والنجاشي توفي نصرانياً، ولم نسمع إن الحبشة دخلت الدين الإسلامي في هذا الوقت، ولو كان النجاشي أسلم ما دار هذا الحوار بين النبي وأصحابه. ما كانوا اعترضوا على الصلاة عليه*(٣).

أنا بادرس مش علشان أتجوز مريم، أنا بادرس علشان لما أموت هكون واقف يوم الحساب قدام ربنا سبحانه وتعالى. وأنا مؤمن إن حياتي في الآخرة أهم عندي من الزواج، حتى لو كان الزواج ده من مريم.

•••

"يا ابني مش هلاقي أحسن منك، أنت إنسان كويس، ومهندس ناجح وشاطر في شغلك وراجل مؤدب، وجارنا واحنا عارفينك، وأنا موافق تتجوز بنتي، بس الأول لازم تشهر إسلامك".

عرض عليا عم صالح الإسلام.

قلت له: فيه حديث عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، للناس اللي هاجروا إلى المدينة قال فيه: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

أنت عايزني أدخل الدين الإسلام علشانها ولا علشان الله ورسوله، لو علشانها أبقى منافق، ولو علشان الله ورسوله فأنا لغاية دلوقتي بادرس، ولو اقتنعت هادخل الإسلام، لكن لو قلت لك هأدخل الإسلام علشانها، أنت لو بتحبها ترفضني. اللي يغير دينه علشان بني آدم، بُكره يغير دينه ويغير نفس البني آدم علشان حاجة تانية.

•••

أخدت من والدها شبه موافقة.

وافق، بس حط شرط، إن القانون في الأول لازم يسمح، والدولة لازم توافق.

شكل المشوار لسه بعيد. وعلى قد ما كان باين إنه بعيد. كنت كل ما أبص لـ مريم، أحس إن جوايا طاقة أمل، طاقة إيمان، تكفي العالم كله.

مريم كانت موجودة في كل الحوارات اللي دارت بيني وبين والدها، ما عدا أول حوار، قلت لها: «بلاش تبقي موجودة علشان بابا ما يظنش إن فيه حاجة بيني وبينك، وأنا أخاف عليكِ وعلى سمعتك، حتى قدام والدك».

في آخر حوار دار ما بيني وبين عم صالح سألها قدامي: «أنت من جواكي عايزه الراجل ده؟، مطمنه انك تعيشي معاه؟، مش خايفه أنه يجبرك علي حاجه؟»، وردت عليه مريم: «يا بابا اللي بيعمل كده عشان واحده، يبقي مش بيعمل كده عشان شكلها حلو، أو جسمها عاجبه، يبقي بيعمل كده عشان حبها، حب روحها، واللي يحب روحي أضحي بعمري عشانه، طالما عايزني في النور، وبيدور علي الحلال».

قال لها: «خلاص، طالما ده رأيك، وانتي مقتنعة بيه، أنا معنديش مشكلة، بس مضطر أستني لما الموقف القانوني يتضح».

•••

في الوقت اللي كنت بـ فكر هاعمل إيه في مسألة القانون،

صاحبة مريم عرضت علينا نتجوز عرفي. كنا بنحاول نستشير أهل الثقة، وهي كانت بتثق في صاحبتها. قلت لصاحبة مريم: مفيش حاجة اسمها زواج عرفي، الزواج أصله إن العيلتين يكونوا عارفين وإن المجتمع يبقى شاهد، الزواج مش ورقة، ولا مأذون، التوثيق نفسه مستحدث في مصر، بدأ مع بداية الدولة المدنية، يمكن أيام سعد زغلول. قبل كده لا كان فيه عقد، ولا فيه مأذون. كان الزواج بيتم على يد إمام الجامع، والمجتمع بيشهد. وكان فيه الأهم، الثقة بين الأسرتين. عرفي، يعني في الضلمة، واللي في الضلمة سرقة، والسرقة أكيد مش حلال.

•••

كتبت قصتي في ورقة.

وابتديت أوزعها في إشارات المرور، ومحطات المترو، ومواقف الأتوبيسات، سافرت طنطا، رحت الزقازيق، وصلت إسكندرية، كنت عايز أقول للعالم كله إن أنا من حقي أحب، ومن حقي

أدافع عن حبي وعن قصة حبي.

•••

هذه قصة حبي*(٤)

أرجوكم لا تحكموا عليَّ أو على حبيبتي قبل أن تقرأوا جيدا قصتي. أعلم أنني ربما أتعرض للقتل، لا يهم، هي تستحق أن أموت من أجلها.

حبى لها ليس شهوة جسد، حبي لها عطية من الله، ليس لي فيه دخل. الله أراني جمال روحها ووضع محبتها في قلبي وقلبها. إنني أحبها كما أحبني الله.

ما المشكلة إذن؟

المشكله أنني مسيحي وهي مسلمة. قد يقول شخص وما المشكلة أن تشهر إسلامك وتتزوجها؟ وأقول له: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (القصص:٥٦)، "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" (هود:١١٨)، صدق الله العظيم.

الله الذي وضع محبتها في قلبي وأنا مسيحي هو الذي علمني

أن أحب كل الناس.. علمني أن أحب حتى مَن كفروا به، لأنهم خليقته، وهو وحده سبحانه الذي يُحاسب الإنسان يوم القيامة. ولن تقوم الساعة حتى يأتي المسيح عيسى ابن مريم ديانا للعالمين. والمسيح عيسى ابن مريم علمني أن أحب كل الناس، علمني أن أحب حتى أعدائي. فلماذا ترفضونني حين أعلن حبي لأختي المسلمة التي تحيا معي في نفس الوطن.

عرضت إحدى صديقاتها أن نتزوج عرفياً كما هو منتشر في هذه الأيام، ورفضنا.

عرضت علينا صديقة أخرى أن نتقابل بدون زواج لأن المجتمع لن يسمح، ورفضنا.

إنني أريدها زوجة لي، أفخر بها، أريد أن نكون معا في النور. اتصلت بلجنة الفتوى بالأزهر لأجد حلا ولم أجد سوى الدعوة للإسلام، وحتى الآن لم يهدني الله إلى الإسلام.

لا أريدها عشيقة أو رفيقة أو خليلة أو صاحبة.. أريدها زوجة، لها كل حقوق الزوجة، وأتحمل عنها كل مسئوليات الزوج المحب لزوجته، المدافع عنها حتى الموت.

والله الذي خلقنا ووضع الحب في قلبينا، الله الذي يُطعم العصافير ويحميها.. يحفظنا من كل شر.

إنني أحبها لشخصها .. والدين لله والحب من الله.

فهل من حل؟

•••

في الورقة كتبت رقم تليفوني. واتصل بيا ناس كتير.

منهم اللي كان بيدعي لي، واللي كان بيشتمني كنت أقول له: "شكرا. كل واحد بيكتب في دفتر أعماله".

•••

رحت المحكمة الدستورية العليا. كنت محتاج حد يدلني أرفع قضيتي ازاي وأعمل إيه؟.

وأنا في المحكمة، وأنا تايه، لقيت يافطة صغيرة نحاس، مكتوب عليها "رئيس هيئة المفوضين العليا"، دخلت، لقيت سكرتيرة محجبة، كانت ست لطيفة جداً، شرحت لها الموضوع بشكل مباشر، وطلبت منها أقابل رئيس الهيئة، المستشار نجيب جمال الدين علما.

انتظرت شوية، ودخلتني، المكتب فخم، التصميمات اللي جوا، كلها حاجات عتيقة، فيها ريحة التاريخ وشموخ القضاء.

قال لي: "أؤمر".

كان المكتب فيه ناس كتير، قلت له: "أنا مسيحي وعايز أتجوز مسلمة".

بص لي بدهشة: "لأ، أنت كده تتفضل تستريح، وتستناني".

مشيت الناس، وخلص شوية ورق قدامه، وسمعني.

اتكلمت يمكن ساعة كان شخص هادئ، ومتسامح، ومتفتح. وفي النهاية: "دوَّر على محامي، يرفع لك الدعوى، والحكم للدستور".

•••

اتصل بيا صحفي من روزاليوسف. بعد ما لقى رسالتي اللي كنت بوزعها في المواصلات، قابلته على قهوة في القصر العيني؛ عزمني علي شاي وقال لي: "أنا مش هاعرف أساعدك، بس لو رفعت دعوى، فيه صحفيين مصريين كتير شغالين في جرايد عربية بتصدر من لندن، ممكن أبعت لهم قصتك وقصة الدعوى".

•••

٦ شهور وأنا بدور على محامي، في الجرايد، في الشوارع، في المحاكم، كنت عايز محامي كبير، ويكون مسلم. شرطي إنه يكون مسلم. وفي يوم كنت في الدقي. ركنت عربيتي، وعديت علشان أشتري ساندوتشات، وبعد ما اشتريت، ولسه هعدي الناحية التانية من الشارع. عربية اتحركت ناحيتي بشكل مفاجئ، كانت هتدهسني، ولولا إني رجعت خطوتين ورا بسرعة، كان زماني ميت.

عربية ملاكي.. عادية، اللي بيسوقها لما عدّاني، ارتبك وهو بيبص لي في المراية، وعشان كده خبط عربية كانت راكنة جنب الرصيف، خبطها وجري.

ما أنكرش إني اتهزيت، خفت لما حسيت إن أنا المقصود. بس لما هديت وفكرت كويس لقيت أن أنا كنت عايز أعدي الشارع، وهو كان عايز يخبطني، بس في الآخر، ربنا أراد إنه ينجيني، وده الأهم.

•••

رحت مراكز حقوق الإنسان.

خاطبت الدكتورة عصمت المرغني، كانت وقتها رئيس الاتحاد الأفروآسيوي لحقوق الإنسان، كلمتها أكثر من ساعة على

التليفون، قلت لها: "كيف تكونون في اتحاد لحقوق الإنسان وأنتم لا تعرفون حقوق الإنسان؟".

ذُهلت من جرأتي، قالت لي: "يا ابني موضوعك هيعمل مشاكل كتير". قلت لها: "إن كنتم جبناء تخافون المشاكل، فاعلموا أن المشاكل قادمة لا محالة".

في الوقت ده كانت أمريكا احتلت العراق، وكانت بتتكلم كتير عن.. المساواة والحرية وحقوق الإنسان، وبدأ العالم العربي يهتف بالمساواة والحرية وحقوق الإنسان. فتبادر إلى ذهني أن أبعت رسالة لرئيس الجمهورية.

•••

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس / محمد حسني مبارك "أب كل المصريين".

تحية طيبة، وبعد

مقدم الشكوى: مواطن مصري

الاسم :.....

المهنة: مهندس ميكانيكا **ت محمول:**.....

العنوان: ... شارع ..... الجيزة.

بطاقة رقم قومي: ..... **صادرة بتاريخ ١١/ ٢٠٠٢**

تحية طيبة، من مواطن مصري يعلم أن الله سبحانه وتعالى اختارك لتقود دفة سفينة هذا الوطن.

سيادة الرئيس

أتوجه بشكوتي إلى الله عز وجل أولاً ، ثم إلى سيادتكم.

وقد سلكت طرقاً كثيرة بشكوتي هذه، ذهبت بها إلى المحكمة الدستورية العليا، طلبوا مني أن أرفع دعوى قضائية، قدمتها إلى مكتب النائب العام، فأمر بحفظها.

وشكوتي هي أن مصر تظلمني، وتميز بيني وبين غيري، وتفضل الأجنبي عني، وتعطي له حقا لا تعطيه لى، مع أنني من نيلها أشرب، وفي ترابها سوف أُدفن، ومن أجلها أقدم دمي إن احتاجت إليه.

سيادة الرئيس

لم أجد في وطني أي محام كي يتولي رفع دعواي أمام القضاء، الطريق الشرعي الذي أريد أن أنال حقي من خلاله، احتراما

للدستور وسيادة القانون والحق والعدل في وطني، وهو مبدأ طالما تنادي به سيادتكم، ونرجوه، حيث لا تفرقة بين أبناء الوطن الواحد بسبب اللون أو الجنس أو الدين.

شعار الحزب الوطني الذي ترأسه سيادتكم "الفكر الجديد وحقوق المواطن". وأنا أبحث عن حق دستوري لي، كمواطن مصري، يعيش على أرض هذا الوطن.

سيدي الرئيس

أنا مواطن مصري مسيحي وأريد الزواج من فتاة مصرية مسلمة، طبقا لحقي الدستوري، طبقا للمساواة مع أخى المسلم الذي يتزوج من مسيحية دون أن يعيقه في ذلك القانون.

أنا لا أتحدث عن الأديان، وإن كان الحق والعدل هما من أسماء الله الحسني، أنا أتحدث عن المساواة، عن حقي وحق من أحبتني وأحببتها، عن حقي كمواطن مصري وحقها كمواطنة مصرية، الأديان لا تلغي الجنسية.

حقي الدستوري الذي لا تعطيه لى مصر، في أن أتساوى مع أخي المسلم في الحقوق، كما يتساوي معي في الواجبات.

والمسلم يستطيع أن يتزوج من أختي المسيحية بعقد موثق قانونياً ومعترف به، وتبقى على دينها بلا مانع .. وأنا .. لا.

سيادة الرئيس

نحن نقول أننا دولة الشرعية الدستورية وسيادة القانون، ورمز العدالة الفتاة المعصوبة العينين، الفتاة التي تحمل الميزان المرتكز على حد السيف كي يكون حساسا، فلا تشوبها شائبة من المشاعر الشخصية أو الهوى النفسى، فعند إقرار العدالة، عند نصب ميزان الحق ينسى القاضي زوجته وابنه بل وحتى دينه، كما فعل قاضى المدينة مع الخليفة علي بن أبى طالب حينما نازعه اليهودي على درعه وحكم لليهودي بالحق فيه.

وأنا أحتكم للدستور الذي يقول "إن جميع المواطنين - من جهة المواطنة - متساويين في الحقوق والواجبات".

سيدي الرئيس

إنني لا أطلب شيئا مشيناً أو مخجلاً، بل أطلب حقي في الزواج كحق دستوري، كحق اجتماعي، وأصل الزواج هو قبول وإشهار وإعلان كما تزوج الأنبياء والصديقين بما فيهم الرسول الكريم من السيدة خديجة.

الدستور المصري ينص على أن "مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع"، لكنه لم يقل إن "الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع".

سيادة الرئيس

هناك مَن حذرني بأنني ألقي بنفسي في التهلكة، ولكن إيماني

بالحق، الذي حمى سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار، وفي الإنجيل يقول "إن شعرة واحدة من رؤوسكم لا تسقط إلا بإذني". يجعلني مطمئنا.

هذا اليقين بالحق يجعلني ألتمس من سيادتكم أن تكون كالفاروق عمر بن الخطاب الذي أعطى الحق للمصري القبطي من ابن الوالي عمرو بن العاص وحكم للقبطى، "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِما أَوْ مَظْلُوما»، وظالما برده عن ظلمه.

سيدي الرئيس

والله الذي يشرق الشمس حتى على عابد البقرة وعابد الأصنام والملحد ولا يفرق بينهم على الأرض، أقول لسيادتكم:

مَن يعرف الحق على الأرض سوف يعرفه الحق في السماء.

ملحوظة: أعلم أن مباحث أمن الدولة تتابعني، وأرفع شكواي إلى الله عز وجل، وإلى سيادتكم، لإقرار الحق في وطني، حتى يكون العدل هو أساس الحكم.

لسيادتكم جزيل الشكر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

•••

بعت الرسالة لرئيس الجمهورية. وكنت بعت رسالة تانية فيها نفس المضمون لمعظم رؤساء الصحف القومية، والصحف الحزبية والمستقلة والخاصة، ومراكز حقوق الإنسان، وشخصيات عامة.

الكلام ده كان في سنة ٢٠٠٣، كان لسه الأستاذ إبراهيم نافع الإمبراطور اللي مسيطر على مؤسسة الأهرام وما يتبعها، والأستاذ سمير رجب مسيطر على الجمهورية وما يتبعها، والأستاذ إبراهيم سعدة مسيطر على الأخبار وما يتبعها. وكان وقتها الأستاذ عادل حمودة يرأس تحرير جريدة صوت الأمة، واللي كنت باستشف من شجاعة قلمه، إنه ممكن يقف مع قضيتي.

قابلت الأستاذ عادل في مقر الجورنال، شارع الغزل والنسيج، المهندسين.

الأول، كلمته في التليفون، اتصلت على الجورنال، السكرتيرة حولتني ليه، رد عليا وسألني: بخصوص إيه؟، قلت له: «بخصوص موضوع يهم مصر».

كنت كاتب حكايتي في رسالة، وعامل حسابي أتكلم معاه. بس لما دخلت مكتبه لقيت عنده ضيوف، وكان عندي ميعاد شغل فقلت له: «أنا هـ سيب لحضرتك الرسالة دي، وهآجي يوم تاني».

اتصلت مرة تانية، السكرتيرة قالت لي: «هو سايب ليك رد، لو سمحت ما تتصلش هنا تاني».

•••

بعت رسالة تانية لرئيس الجمهورية، ورسالة لحرم رئيس الجمهورية*(٥) ، ورسايل للي شغالين مع رئيس الجمهورية، كل الرسايل اللي بعتها كنت كاتبها بخط إيدي. علشان تكون مستند ضدي، وكلها كانت بعلم الوصول، عشان أضمن أنها بتوصل. *(٦).

•••

لقيت محامي.وبدل ما ياخد مني فلوس، عرض عليا نص مليون جنيه.

فوق مكتبه، حاطط صورة ليه وهو بيسلم على الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، الله يرحمه، عرفت فيما بعد أنه من جماعة الإخوان المسلمين.

في الأول مافهمتوش، لا كان عايز يقبل القضية، ولا كان عايز يرفضها فـأدوّر على محامي تاني.

بعد ما اتكلمنا في مسألة الشريعة، وعرف أن الأب موافق، كان مهتم يعرف الأسانيد القانونية، والمواد الدستورية اللي بنيت عليها فكرة رفع دعوي قضائية، وبعد ماعرف كل ده، قال لي: سيبني شوية أدرس الموضوع وعدي عليا بعد أسبوع.

ولما روحت له بعد أسبوع، دار بينّا نقاش من نوع غريب، عرض عليا فيه نص مليون جنيه،وأني آخد مريم وأسافر أتجوزها بره، وأني ماوجعش دماغي بحكاية المحاكم والمحامين دي.

وفي نص كلامه هددني، هددني بالقتل بشكل صريح.

وأنا ماشي، قلت له: لا النص مليون بتاعتك، ولا حتى وأنا ماشي عربية تخبطني، ولا أي حاجة ممكن تحصل هتفرق معايا. شوف، لو ربنا سبحانه وتعالى قضى اني أموت، هـموت

ولو على فرشتي ووسط أهلي. ولو ربنا سبحانه وتعالى مش قاضي اني أموت، حتي لو الف واحد صوب ناحيتي بندقيته، برضه مش هـموت.

•••

أنا اللي هاكتب المرافعات، كنت عايز بس محامي يحط اسم مكتبه، لأن قانون السلطة القضائية بيقول إن المحامي هو اللي يتولى رفع الدعوى. ورب العزة يسمح إني أكون في وسط البلد،

وأقرا يافطة أستاذ محامي مسلم. محامي بالنقض والمحكمة الإدارية العليا.

طلعت، قابلتني السكرتيرة وطلبت أقابل الأستاذ في استشارة قانونية. أول ما دخلت، قال لي: «الاستشارة بخمسين جنيه». طلعت الخمسين جنيه وقلت له: «اتفضل». وسألني: «ما هو موضوعك؟».

اتكلمت معاه نص ساعة. وفي الآخر، قال لي: «الشريعة الإسلامية لا تسمح».

قلت له: «الشريعة الإسلامية شريعة حق وعدل ومساواة، شريعة «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ»، ولو أنت بتقول حاجة غير كده، آسف.. تبقى جاهل بالشريعة الإسلامية.

بص لي بدهشة وقال لي: «أنا هامسك الدعوة بتاعتك، بس أنا داخل في سكة ممكن المكتب بتاعي ده يتقفل».

طلب مبلغ ضخم، واشترط أجيب له نص الأتعاب في الأول، وأنا باعمل التوكيل، وقال لي بالحرف: «نص الأتعاب، وأنا مش هاضمن لك أي حاجة».

- «أنا مش عايزك تكسب الدعوى، أنا عايزك ترفع الدعوى».

وريته صورة من أول خطاب بعته لرئيس الجمهورية، كان مضى عليه أكثر من ٣ شهور، سألني: «ما جرالكش حاجة»،

قلت له: «لا».

طلب صورة من الجواب، ونص الأتعاب، والتوكيل، وإننا نقعد علشان نحط صياغة الدعوى.

•••

في ٣ تيام.

بعت شقتي اللي في مدينة ٦ أكتوبر، وبعت عربيتي، وسحبت جزء من الفلوس اللي كانت في البنك، ورحت للمحامي اديته التوكيل، واديته الأتعاب كاملة. وقلت له: «أنا ما أضمنش عمري، مش عارف إيه اللي ممكن يحصل لي بُكره، خد أتعابك كاملة، أنا مش عايز منك غير إن احنا نبتدي في رفع الدعوى».

وسألني: «هتختصم مين؟»

- هاختصم وزير العدل.

- ذكاء منك، كان ممكن تختصم رئيس الجمهورية.

- هيتقال إن أنا عايز شهرة، لكن أنا باختصم الشخص المسئول عن التوثيق، أنا باطلب عقد، العقد ده يتبع التوثيق، التوثيق ده تابع لوزارة العدل.

كتبنا بعض المداولات. واتفقنا إننا نتكلم بالقانون، عن إن جميع المواطنين متساويين في جميع الحقوق والواجبات، وهو أضاف كلمة "كنسيج واحد".حسيت إن ربنا سبحانه وتعالى اختار المحامي ده علشان يضيف الكلمة دي بس، لأننا فعلا نسيج واحد مش اثنين.

واترفعت الدعوى، في ٢٦ أبريل ٢٠٠٤.

هوامش أول فصل

***(١) سفر التكوين.**

شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القس أنطونيوس فكري.

الآيات ١١-١٣:

«١١ وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امراة حسنة المنظر ١٢ فيكون إذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك ١٣ قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك ».

هذه هي سقطة أبرام الكبرى. فإخفاء جزء من الحقيقة (أنها زوجته) يعتبر كذبا حتى لو كانت شقيقته من أبيه وليس من أمه. فهذا يعتبر خداع وكذب وضعف إيمان. والخداع هو نوع من الغواية يسقط فيه الإنسان ليحل مشكلة بطريقة سهلة فيجلب على نفسه مشاكل عديدة. وبدء السقوط كان ضعف الإيمان الذي جعله ينزل إلى مصر. وهذا امتد لضعف إيمان أن الله قادر علي حمايته وحماية زوجته. فالخطية تأتي وراءها بخطايا أخري. والنتيجة أنه حرم من زوجته.

الآيات ١٤-٢٠: « ١٤ فحدث لما دخل ابرام إلى مصر ان المصريين راوا المراة انها حسنة جدا ١٥ وراها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فاخذت المراة إلى بيت فرعون ١٦ فصنع إلى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال ١٧ فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امراة ابرام ١٨ فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني انها امراتك ١٩ لماذا قلت هي اختي حتى اخذتها لي لتكون زوجتي والان هوذا امراتك خذها واذهب ٢٠ فاوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامراته وكل ما كان له».

العجيب أن ما كان إبرام عاجزا عن أعلانه بأن ساراي زوجته أعلنه الله لفرعون ليردها إليه دون أن يمسها، بل ونال غنى وكرامة.

فالله في محبته لا يحاسب الإنسان حسب ضعفاته. ويفهم من الكلام أن الله ضرب فرعون بضربات لا نعرفها، المهم أنها أي الضربات استطاعت أن تقنع فرعون بأن الله غاضب إذ هو حاول أن ينال من ساراي.

وربما أفهمت ساراي فرعون أنها زوجة إبرام وطلبت منه أن لا يمسها. وربما حاول فرعون فضربه الله. المهم أن الله في محبته لم يقبل أن يعيش إبرام معذب الضمير كل حياته في حالة أن فرعون مس ساراي زوجته. لذلك حفظها الرب من يدي فرعون بل ورد لإبرام غنى وكرامة (مز ١٠٣،١١:١٠) فالله يخرج من الجافي حلاوة.

لقد كان إبرام أحد خائفي الرب ومحبيه لذا تمتع بالمراحم التي تعلو علي الأرض (مز ١٠٥:١٥) وتوبيخ فرعون لإبرام يشبه توبيخ البحارة ليونان النبي وهو شيء يدعو للأسف.

*(٢) فتاوى تقضي بتحريم زواج المسلمة بغير المسلم

إسلام أون لاين
الاسم: نادر- الأردن

العنوان: الحكمة من تحريم زواج المسلمة بغير المسلم

السؤال: بسم الله الرحمن الرحيم ،أنا أعمل في بلد أوربي و كنت في نقاش مع أحدهم، أحدثه عن سماحة الإسلام وعن نظرة الإسلام لجميع الناس بمساواة، فقال لي ماذا تفسر تحريم زواج المسلمة بغير المسلم ألا يُعد نزعة عنصرية؟ فبماذا أجيبه ؟ وجزاكم الله خيراً.

المفتي: مجموعة من المفتين.

الحل:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :
فيرى جمهور الفقهاء إباحة زواج المسلم من نساء أهل الكتاب، وأجمعوا على حرمة زواج المسلمة من غير المسلم، وهذا أمر تعبدي، وإذا أردنا أن نلتمس حكمة لذلك فيمكن أن يقال: إن الإسلام عندما أباح للرجل الزواج من الكتابية فإنه أمر الزوج أن يحترم دينها لأن المسلم يؤمن بجميع الأنبياء، أما غير المسلم إذا تزوج من مسلمة فإنه لا يحترم عقيدتها، ولا يؤمن بنبيها مما يوقد النار في المنزل ويمنع السكينة والرحمة التي عليها قوام البيوت، فلهذا منع الإسلام مثل هذا الزواج .

يقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي:

- المسلمة لا تتزوج إلا مسلماً، والله تعالى يقول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) ثم استثنى فقال :

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) فأباح زواج المحصنات من أهل الكتاب ولم يجز زواج الرجال من نساء المسلمين.

وحكمة ذلك: أن المسلم يؤمن بكل الرسل بما فيهم موسى وعيسى عليهم السلام. وبكل الكتب بما فيها التوراة والإنجيل.

بينما لا يؤمن أهل الكتاب إلا برسولهم وكتابهم. وقد أجاز الإسلام لزوجة المسلم الكتابية أن تذهب إلى أماكن عبادتها كالكنيسة والمعبد، بينما لا يجيز هؤلاء الكتابيين للمسلمة ـ لو تزوجوها ـ أن تذهب للمسجد وتظهر شعائر الإسلام.

والأهم من ذلك: أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، والزواج ولاية وقوامة، فيمكن أن يكون المسلم وليا وقواما على زوجته الكتابية، بينما لا يمكن أن يكون غير المسلم وليا أو قواما على المسلمة، فالله تعالى يقول: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).

والزوجة عليها طاعة زوجها، فلو تزوجت المسلمة غير المسلم لتعارضت طاعتها له مع طاعتها لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ولعل هناك حكما أخرى كامنة فى منع زواج المسلمة من غير المسلم، يعلمها الله تعالى، العليم بما يصلح العباد (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)؟

وما على المؤمن بالله تعالى وبحكمته وعلمه؛ إلا أن يقول: (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).

ويقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ :

رب البيت المسلم يستحيل أن يمر بخاطره أن يهين موسى أوعيسى، إنه يحترمهما كما يحترم نبيه محمدا، ويصفهما بالوجاهة والرسالة وقوة العزم وصدق البلاغ!

وهذا معنى يلقي السكينة في نفوس أتباعهما.

أما اليهود والنصارى فإن ضغائنهم على محمد أعيت الأولين والآخرين، وقد استباحوا قذفه بكل نقيصة.

وفي عصرنا هذا منحت إنجلترا أعظم جائزة أدبية لكاتب نكرة ،كل بضاعته شتم محمد والولوغ في عرضه والتهجم عل حرمه ! فكيف تعيش مسلمة في بيت تلك بعض معالمه؟

إن الزواج ليس عشق ذكر لمفاتن أنثى، إنه إقامة بيت على السكينة النفسية والآداب الاجتماعي، في إطار محكم من الإيمان بالله، والعيش وفق هداياته، والعمل على إعلاء كلمته، وإبلاغ رسالاته.

وهذا الذي ذكر ما هو إلا محاولات لاستنباط الحكمة من المنع، ويبقى الكثير الذي لا يدركه إلا الله، على أن الفيصل في المسألة أنه أمر تعبدي محض.

وجاء في فتاوى الأزهر الشريف:

صحيح أن الإسلام يجيز زواج المسلم من غير المسلمة (مسيحية أو يهودية) ولا يجيز زواج المسلمة من غير المسلم. وللوهلة الأولى يُعد ذلك من قبيل عدم المساواة ، ولكن إذا عرف السبب

الحقيقي لذلك انتفى العجب، وزال وَهْمُ انعدام المساواة. فهناك وجهة نظر إسلامية في هذا الصدد توضح الحكمة في ذلك. وكل تشريعات الإسلام مبنية على حكمة معينة ومصلحة حقيقية لكل الأطراف.

الزواج في الإسلام يقوم على «المودة والرحمة» والسكن النفسي .

ويحرص الإسلام على أن تبنى الأسرة على أسس سليمة تضمن الاستمرار للعلاقة الزوجية. والإسلام دين يحترم كل الأديان السماوية السابقة ويجعل الإيمان بالأنبياء السابقين جميعًا جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. وإذا تزوج مسلم من مسيحية أو يهودية فإن المسلم مأمور باحترام عقيدتها، ولا يجوز له ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها، والذهاب من أجل ذلك إلى الكنيسة أو المعبد.

وهكذا يحرص الإسلام على توفير عنصر الاحترام من جانب الزوج لعقيدة زوجته وعبادتها. وفى ذلك ضمان وحماية للأسرة من الانهيار.

أما إذا تزوج غير مسلم من مسلمة فإن عنصر الاحترام لعقيدة الزوجة يكون مفقودًا. فالمسلم يؤمن بالأديان السابقة، وبأنبياء الله السابقين، ويحترمهم ويوقرهم، ولكن غير المسلم لا يؤمن بنبي الإسلام، ولا يعترف به، بل يعتبره نبيًّا زائفًا وَيُصَدِّق ـ في العادة ـ كل ما يشاع ضد الإسلام وضد نبي الإسلام من افتراءات وأكاذيب، وما أكثر ما يشاع.

وحتى إذا لم يصرح الزوج غير المسلم بذلك أمام زوجته فإنها ستظل تعيش تحت وطأة شعور عدم الاحترام من جانب زوجها لعقيدتها. وهذا أمر لا تجدي فيه كلمات الترضية والمجاملة. فالقضية قضية مبدأ. وعنصر الاحترام المتبادل بين الزوج والزوجة أساس لاستمرار العلاقة الزوجية.

وقد كان الإسلام منطقيًّا مع نفسه حين حرّم زواج المسلم من غير المسلمة التي تدين بدين غير المسيحية واليهودية، وذلك لنفس السبب الذي من أجله حرّم زواج المسلمة بغير المسلم.

فالمسلم لا يؤمن إلا بالأديان السماوية وما عداها تُعد أديانًا بشرية. فعنصر التوقير والاحترام لعقيدة الزوجة في هذه الحالة ـ بعيدًا عن المجاملات ـ يكون مفقودًا. وهذا يؤثر سلبًا على العلاقة الزوجية، ولا يحقق « المودة والرحمة » المطلوبة في العلاقة الزوجية.

*(٣) ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه

أحاديث الأحكام - عبد الله بن محمد بن أبي شيبة
دار الفكر/ ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

١- حدثنا أبوبكر قال: حدثنا عبيدالله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، قال: فبلغ ذلك قومنا ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية فقدمنا وقدما على النجاشي، فأتوه بهديته فقبلها، وسجدوا، ثم قال له عمرو بن العاص: إن قوما منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك، فقال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالوا : نعم ، فبعث إلينا فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم.

قال: فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين، وقد قال له عمرو بن العاص وعمارة: إنهم لا يسجدون لك ، قال: فلما انتهينا إليه زبرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله، فلما انتهينا إلى النجاشي قال: ما يمنعك أن تسجد؟

قال : لا نسجد إلا لله، قال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، قال: فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في ابن مريم؟

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟

قال: يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، قال: فتناول النجاشي عودا من

الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله والذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة، وقال: ردوا على هذين هديتهما، قال: وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا، وكان عمارة بن الوليد رجلا جميلا، قال: فأقبلا في البحر إلى النجاشي، قال: فشربوا، قال: ومع عمرو بن العاص امرأته، فلما شربوا الخمر قال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتقبلني، فقال له عمرو: ألا تستحيي، فأخذه عمارة فرمى به في البحر فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو ذلك، فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلف عمارة في أهلك، قال: فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فصار مع الوحش .

٢- حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة لقي عمر بن الخطاب أسماء بنت عميس فقال لها: سبقناكم بالهجرة ونحن أفضل منكم، قالت : لا أرجع حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، لقيت عمر فزعم أنه أفضل منا وأنهم سبقونا بالهجرة، قالت : قال نبي الله عليه الصلاة والسلام: بل أنتم هاجرتم مرتين، قال إسماعيل:فحدثني سعيد بن أبي بردة قال: قالت يومئذ لعمر: ما هو كذلك، كنا مطرودين بأرض البعداء البغضاء وأنتم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ جاهلكم ويطعم جائعكم .

٣- حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام عن أبيه في قوله: ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال: نزل ذلك في النجاشي .

٤- حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فقيل له: قدم جعفر من عند النجاشي، قال: ما أدري بأيهما أنا أفرح؟ بقدوم جعفر أو بفتح خيبر؟ ثم تلقاه فالتزمه وقبل ما بين عينيه .

٥- حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز قال: ثنا الزهري قال حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي قال: دعا النجاشي جعفر بن أبي طالب وجمع له رءوس النصارى ثم قال لجعفر: اقرأ عليهم ما معك من القرآن، فقرأ عليهم كهيعص ففاضت أعينهم فنزلت ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .

٦- حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن ابن سيرين أنه ذكر عنده عثمان بن عفان، قال رجل: إنهم يسبونه، قال: ويحهم، يسبون رجلا دخل على النجاشي في نفر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكلهم أعطاه الفتنة غيره، قالوا : وما الفتنة التي أعطوها ؟ قال: كان لا يدخل عليه أحد إلا أومأ إليه برأسه، فأبى عثمان فقال : ما منعك أن تسجد كما سجد أصحابك ؟ فقال : ما كنت لأسجد لأحد دون الله .

*(٤) هذه قصة حبي.

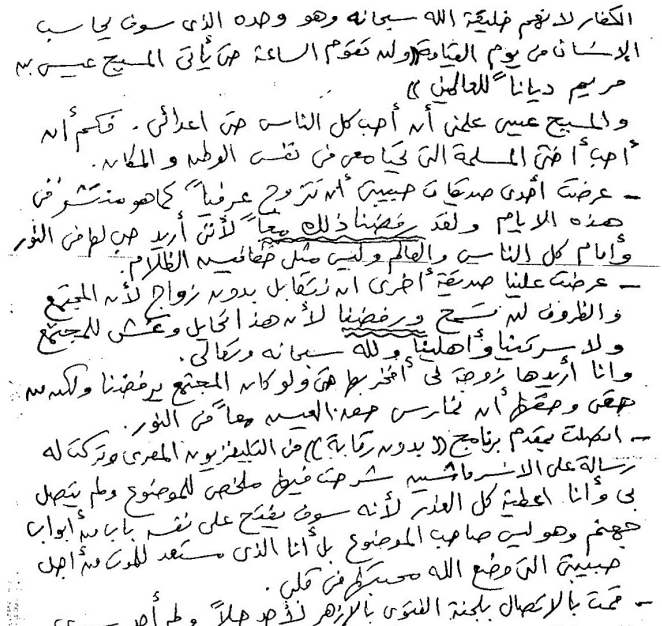

ملحوظة: تدخل الكاتب في صياغة ماجاء في الورقة، أثناء عرضها في متن الفصل.

***(٥) رسالة إلي السيدة سوزان مبارك.**

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدة الفاضلة / حرم رئيس الجمهورية

السيدة / سوزان مبارك، رئيس المجلس القومي لحقوق المرأة.

تحية تقدير واحترام، وبعد...

مقدمه لسيادتكم المواطن المصري / .....

المهنة /مهندس ميكانيكا ت/.....

العنوان/..... الجيزة، رقم قومي شخصية :..... صادرة بتاريخ ٢٠٠٢/١١

الموضوع :

ألتمس من سيادتك أن تسمعي صوتا يطلب حقا لا أستطيع أن أناله في وطني، رغم أن هناك مَن هو ليس مصريا ويستطيع أن ينال هذا الحق «رغم كوني مصريا وهو أجنبيا»، حتى أنه عُرض علىَّ أن يتم مساعدتي على السفر خارج مصر، بل ومساعدتي بالمال اللازم لذلك حتى لا أفتح «باب جهنم»، وذلك حسب ما قيل لى من الشخص الذي عرض علىَّ ذلك، وكما لو كان طلب الحق في وطني «يفتح باب جهنم»، ويا للعجب على وطني الذي يعلم الحرية للعالم كله والحق منذ آلاف السنين.

السيدة الفاضلة/ حرم السيد الرئيس

إنني أطلب حقي كمواطن مصري في الزواج من الفتاة التي أحبها

وأنا مسيحي وهي مسلمة وأقبلها هكذا، ويمكن أن يضمن القانون ذلك بالوسيلة المناسبة، كما يسمح للمسلم بالزواج من المسيحية بدون أى عائق وهذا طبقا للمساواة والحرية وحقوق الإنسان التي يقرها الدين الإسلامي ومبادئ حقوق الإنسان والدستور المصري.

هذا ولقد سبق أن أرسلت رسالة إلى السيد الرئيس/ محمد حسني مبارك بخصوص هذا الموضوع في خطاب مسجل بعلم الوصول بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٨ مرفق معها رسالة أرسلتها إلى العديد من السادة الصحفيين-المحامين- الاتحاد الأفروآسيوى لحقوق الإنسان- مركز هشام مبارك- مركز الأرض- مركز القاهرة لحقوق الإنسان- ومرفق معها ورقة أقوم بتوزيعها في التجمعات العامة.

وتفضلي بقبول فائق التحية وسائر الاحترام

*(٦) وصل بريد بعلم الوصول.

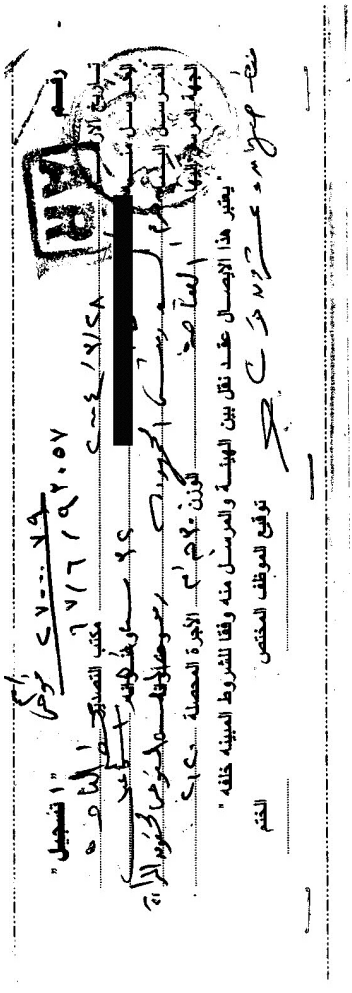

تانى فصل

٢٠٠٤ - ٢٠١١

والدتي وإخواتي بلغوا الكنيسة اللي ساكنين جنبها، واللي مواظب فيها على الصلاة. الأب الكاهن جاني البيت. بوست إيده من باب التوقير والاحترام. ولو كان رجل دين مسلم كنت بوست إيده برضه.. من باب التوقير والاحترام.

- عامل إيه في الشغل؟

- شغل إيه، أنا من غير شغل ثابت بقالي أكتر من ٥ سنين يا أبونا، باشتغل في أعمال روتينية مؤقتة؛ الصيانة، المقاولات، بس الحمد لله ليا ملف تأمينى سابق.

ضحك، وبعدين سألني عن حقيقة الكلام اللي سمعه من أهلي.

- وإيه المانع، ما أنا لو عايش في أي دولة أوربية كنت هاتجوزها بكل بساطة.

- لكن ده بيخالف تعاليم الكنيسة.

- أنا مش هقول إن تعاليم الكنيسة كلها خطأ، ومش هقول إن تعاليم الكنيسة معصومة من الخطأ. لكن هقول إن تعاليم الكنيسة يمكن تغييرها بناء على ما يُسمى في المسيحية بـ "إرشاد الله والروح القدس لكل مَن يطلب الله من عمق قلبه". وفي العقيدة المسيحية: "كل الأشياء تحل لي، ولكن ليس كل الأشياء توافق". من رسالة بولس الرسول.

ثانيا، في المسيحية الإنسان لا يقتل، صحيح، ولكن إذا كنت جنديا وقامت حرب بين وطني وأي جهة معادية، فمن واجبي كجندي أن أحارب وأقتل، وبهذا المنطق استشهد الأقباط في حرب ٧٣، وبنفس المنطق ماري جرجس وأبو سيفين وماري مينا، كانوا جنودا وقادة يقاتلون ويقتلون، ولكنهم لم يخالفوا الإيمان، لأن ما يفعلوه وظيفة اجتماعية

بحكم صفاتهم كجنود، وإلا.. كيف يكون جنديا وهو لا يدافع عن وطنه؟ وكيف يدافع عن وطنه وهو لا يحمل سلاحا؟ وكيف يحمل سلاحا وهو لا يستخدمه؟.

ثالثا، تعاليم الكنيسة أساسها وهدفها "الله محبة"، وأي حاجة بنعملها لازم يكون أساسها المحبة. مثلا ثلثي العام صيام في العقيدة المسيحية، فمَن أحسن عملا.. مَن يصوم فرضا أم حبا؟ إن كان فرضا، فصيامه خطأ طبقا لتعاليم الكنيسة، الصيام حب وليس فرض.

وبعدها سألته: "ينفع أتجوزها برا مصر؟".

- ينفع، خدها واتجوزها برا مصر.

- وليه ما آخدش الحق ده في بلدي؟.

- علشان هتدخل في مشاكل مع الدولة، والدولة هي المسئولة عن القوانين.

القوانين بتتغير وتتعدل، هـم عملوا ليه برلمان. القوانين بـتتغير بس مش عن طريق فتاوى المشايخ، ولا الكهنة، والدليل أن الدولة.. لا تقطع يد السارق وهذا يخالف الشرع، الدولة لا ترجم المرأة الداعرة، بالعكس.. معظم قضايا الآداب بتنتهي بالبراءة، أو السجن من سنة لـ ٣ سنوات.. وهذا يخالف شرع الله كما يفهمه البعض.

علشان كده فيه فرق بين قوانين الدولة وما ينبغي أن تكون عليه من حيث حقوق الإنسان والعدالة والحرية والمساواة، وبين مفاهيم الناس هتختلف عليها، وممكن تعيد البشرية لعصور ومجتمعات منغلقة.

زمان كان الاختلاط شبه محدود، النهارده الاختلاط في كل حتة؛ في الشارع، والمدرسة، والمواصلات، والجامعة وفي الشغل، أختي بتطلع الشارع، بتقابل زميلها المسلم، جايز تحبه ويحبها. وبعد ما يتعلقوا ببعض تيجي الكنيسة وتقول: لا، مش هينفع يتجوزوا .. حرام.

لو بتحبه هتروح تتجوزه غصب عن عين أهلها، والنماذج كتيرة، والمجتمع مليان.

قبل ما تقولوا حرام، قبل ما تتكلموا في هينفع ومش هينفع. امنعوا الاختلاط، ما تودوناش مدارس، ما تدخلوناش جامعة، ما تخلوناش نتقابل.. وما تسيبوناش نحب بعض.

ثم حرام ليه؟ ..“أيها الأحباء، لنحب بعضنا بعضا، لأن المحبة هي من الله، وكل مَن يُحب فقد ولد من الله ويَعرف الله، ومَن لا يُحب لا يَعرف الله، لأن الله محبة“.

مش أنتم اللي علمتونا الكلام ده في الكنيسة، مش ده الكلام اللي جه في رسالة يوحنا الرسول.

•••

جريدة الشرق الأوسط، نشرت الخطاب اللي بعته لرئيس الجمهورية، ووكالة الأنباء الفرنسية عملت تقرير عن الدعوى.

وعملت مداخلة تليفونية في برنامج "نقطة حوار"، على قناة الـ bbc ، مع مذيعة اسمها رشا قنديل، حاولت اتكلم في وسائل الإعلام بعد ما وصلت لقناعة إن قضيتي ما عادتش قضية شخصية، بقت بالنسبة لي قضية بلد .. لو ما اتحققش فيها العدل، هتنحدر أكتر.

مش بس مصر. فيه مشكلة في الأمة العربية. كأمة عربية احنا يُعاب علينا حاجتين: جمود الفكر، وعدم التكيف مع الواقع. وعلشان أي بلد تتقدم، لازم يبقى فيها فكر، ولازم تبقى فاهمة واقعها وواقع العالم اللي حواليها كويس. دون أن تمس الأديان في جوهرها الصحيح.

والأديان مش بس ألفاظ منطوقة، مش شوية نصوص بيتحفظوا وخلاص، مش مين نقل عن مين، الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: "القرآن حمَال ذو وجوه".*(١)

الآية القرآنية الواحدة تفسر وتأول بأكثر من تفسير، بناء على ظروف المجتمع.

وفيه مبدأ أساسي في الفتوى، هو إن الفتوى تختلف باختلاف الجهات الأربعة، الزمان والمكان والأشخاص والأحوال. يعني ممكن تبقى الفتوى صادرة في مكان وزمان واحد، لكنها تصلح لحالة، ولا تصلح لأخرى.

الطبيب يسمح لمريضه أن يأخذ علاجا، دون أن يكون ذلك مفطرا له في نهار رمضان. المريض يمكن له أن يصلي وهو جالس، وهو نائم، وبحسب حالته ونوع مرضه.. تتغير الفتوى.

جمود الفكر، حلال وحرام .. وده اللي عندى، خلَى المجتمع العربي كله، عنده مشكلة.

الإسلام في ماليزيا وتركيا وإندونيسيا، فيه جهد التفكير، مافيهوش تزمت.

العقيدة فيها "جوهر"، وفيها "فروع"، الفروع هي اللي بتتكيف حسب المكان والزمان والأشخاص والأحوال، وتكيفها ليس بدعة.

الإمام والفقيه ابن تيمية، وقت غزو التتار، أجاز للمسلم أن يتاجر في الخمور، يصنعها ويبيعها لجنود التتار. لأن التتار لما كانوا بيسكروا، شرهم كان بيقل.

التتار مسحوا الدولة العباسية، كانت بغداد عاصمة الخلافة. وكان فيها مكتبة بغداد.. أخدوها، ورموها في نهري دجلة والفرات، عملوها جسور، علشان يعبروا عليها، عبروا على كتب فقهية وعلمية من أيام هارون الرشيد.

كل الدولة العباسية اترمت في الميه وعبر عليها التتار. كانوا جايين بشراسة وعنف فوضوي. وهنا تتكيف الفروع.

"درء المخاطر مُقدم على جلب المنافع"، ده أصل من أصول الفقه.

ابن تيمية، أجاز للمسلم صناعة وتجارة وبيع الخمور. ابن تيمية لم يتغيب عقله حينما أفتى بذلك، ابن تيمية تكيَّف مع واقعه.

قلت الكلام ده كله في البرنامج.

•••

عم صالح تعبان.

ولأنه كان نحيف، ولأنه بدأ يتعالج متأخر، كان فيروس سي نهش كبده، وخلاه يدخل في أدوار غيبوبة مستمرة.

عم صالح معاه ٤ أولاد رجالة، و٣ بنات، كلهم متجوزين ما عدا مريم ومصطفى.

وكلهم عايشين برا القاهرة، ما عدا مريم ومصطفى. وكلهم مايعرفوش حكايتي أنا ومريم ما عدا مصطفى.

مصطفى كان متطوع في الجيش، ومريم ما كانش ينفع تبات في المستشفى، لأن والدها كان بيتحجز في عنبر الرجالة.

كنت أبات مع عم صالح بالتلت تيام في المستشفى. أركب له المحاليل، أدخله الحمَّام. أساعده في تغيير هدومه.

مرة، بعد ما فاق من الغيبوبة، بوست إيده من الفرحة، فخدني في حضنه، وقال لي: "اللي بتعمله علشان بنتي وعلشاني، خلاني متأكد إني لو مت هابقى مطمن عليها معاك".

نزلت من عيني دموع، ونزلت من عينيه دموع.

سألته: "أنت راضي إني أتجوز مريم؟".

قال لي: "أنت جيت وكلمتني بصراحة، وكنت صادق، ما كنتش عايز تاخدها وتهرب برا، ما لفيتش، وما كدبتش، وما ادعيتش. وبغض النظر عن كل ده، حبك لبنتي وحده يخليني مطمن عليها معاك".

•••

جاني شغل في مكتب هندسي مع واحد صاحبي.

أي حاجة، المهم إني أتحرك، ما هو البني آدم لما بيتحرك، الحياة كلها بتتحرك معاه.

بعد ما بعت عربيتي، كنت متعود أركب مواصلات من حتة معينة، وأنا رايح الشغل كل يوم، حتة ضلة بتعدي من قدامها العربيات.

وفي يوم، يادوب اتحركت خطوة قدام ببص على عربية جاية،

لقيت دوشمة كبيرة وقعت على المكان اللي أنا كنت واقف فيه من ثانية. عارف لما تحس إن الدنيا كلها لفت بيك، إحساس إن أنت كنت هتموت حالا.

بصيت لفوق.. مفيش حد، عمارة جديدة، بس كل الشقق اللي فيها متشطبة، معظم البلكونات ناشرة هدوم.

فوقت على تليفوني بيرن. على الشاشة مكتوب unknown، مفيش رقم.

- آلو

- يا ابني أنت ماشي في طريق مجهول.

- مين حضرتك؟

قال لي إنه من جهاز حساس، وطلب مني سحب الدعوى علشان هتعمل مشاكل، والبلد مش ناقصة مشاكل، وقال لي: "ما ترغيش كتير"، وهددني.

في نهاية المكالمة قلت له: لو حضرتك تقدر تطوَّل عمر ابنك لحظة، أبقى طول عمري لحظة.

وعرفت بعدها إن جهاز أمن الدولة، متَابعني. تم رصدي ومعرفة سكني ومكان عملي. كان فيه مخبرين بيجمعوا أي معلومات عني، وعن مريم. سألوا الجيران، سألوا الناس اللي معايا في الشغل، راحوا الكنيسة.

بس كان كل ده بالنسبة لي مش مهم. وطول ما ضميري

مستريح.. هيبقى مش مهم.

•••

كنت غلطان لما قلت لـ مريم على حكاية "الدوشمة".

كنا بنتغدى يومها في مطعم سمك في المهندسين، اتخضت، ضربت ايدها علي صدرها، وصرخت بشكل مفاجىء : «يا لهوي»، تقريباً كل اللي كانوا قاعدين في المطعم بصوا علينا.

وبكت مريم وهي بتقول لي: " لو بسبب الموضوع ده هيجرالك حاجه، بلاش منه".

سيبتها لما هديت شوية، وفهَمتها إنهم بيحاولوا يخوفوني وبس، وان لو عندهم رغبة إنهم يقتلوني، كانوا قتلوني من زمان.

ما هو كل يوم فيه عربيات بتدهس ناس، حد عارف الناس دي ماتت ليه.

•••

بسبب ظروف والده، مصطفى عمل غياب. ولما جه يرجع الوحدة، لقى نفسه متحوَّل لمحاكمة عسكرية، ما راحش.

قعد فترة.. ضايع.

اشتغل في مكتب اتصالات دولية عن طريق الإنترنت، كان صاحب الشغل بيمص دمه، كان بيخليه يشتغل من ٨ الصبح لحد ١ بالليل، وآخر الشهر بيديله ٤٠٠ جنيه غير أكله وشربه. كان تعبان.

في الوقت ده كنت أجرت شقة في وسط البلد، وابتديت أجهز مكتب هندسي. مريم طلبت مني إن أخوها يشتغل معايا ويساعدني، وتبقى فرصة يتعرف أكتر على الشخص اللي عايز يرتبط بأخته.

وأنا كنت محتاج لده، كنت شايف إن احنا لازم نبقى قريبين من بعض اليومين اللي جايين. أنا وأخوها جهزنا المكان، وعلقنا لوحة مكتوب فيها "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" فوق المكتب الرئيسي .. مكتبي.

سحبت المبلغ اللي كان باقي معايا في البنك كله، وعملت الشركة، باسمي وباسم مريم.. كمدير مالي وشريك بنسبة من المرتب، ومصطفى .. كمدير إداري، وشريك بنسبة من المرتب.

وجبنا موظف، علشان يتحرك ويبقى مسئول التحصيل والإيرادات.

مريم ما كانتش بتشتغل بشكل حقيقي معانا، كانت على الورق بس. وجوايا.

ويادوب ما كملناش شهر والمكتب اتسرق. أجهزة الكمبيوتر،

برامج هندسية متخصصة مشتريها غالية، والفاكس، و١٠ آلاف جنيه سيولة، كله اتسرق.

ومصطفى مع الموظف التاني اتخطفوا. الجيران قالوا إن اللي عملوا كده مباحث.

•••

وأنا باعمل محضر في القسم. الظابط نده للأمين، وخده على جنب. الأمين لما رجع كتب محضر، بكتيره ياخد حفظ.

حسيت إن فيه تواطؤ.

مريم وهي بتسأل "البواب" عن اللي حصل بالظبط، قال لها إنه سمع مصطفى وهو بيتكلم مع واحد من اللي واخدينه وبيقول له "يا مجدي".

سألتها في التليفون: مين مجدي؟، قالت لي: "الراجل اللي كان شغال معاه مصطفى في مكتب الاتصالات، اسمه مجدي".

•••

مجدي ما كانش عايز مصطفى يسيبه، وتخيل إنه بيعمل مكتب اتصالات وحده، وإنه واخد من عنده برامج شغل. مجدي هو اللي خطف مصطفى كنوع من البلطجة. وكان يعرف رئيس المباحث فاتكتب محضر غلط.

كلمته في التليفون بالليل، طلبت منه إنه يرجَّع الحاجة، ويسيب مصطفى وصاحبه، وفعلاً.. تاني يوم الصبح مصطفى رجع ومعاه صاحبه، بس من غير الحاجة. مجدي أخد الأجهزة والفلوس بلطجة.

ولأني ما اتعودتش أسكت عن حقي. كتبت شكوى للنائب العام، وشكوى لرئيس نيابة شمال، لغاية ما اتفتح التحقيق من تاني. وخد مجدي حكم ١٠ سنين سجن لواقعة السرقة بالإكراه والخطف، وإجبار مصطفى وصاحبه على توقيع إيصالات أمانة. كان عنده مكتب باعه، وغيَّر محل إقامته، وهرب.

كل ما بتفتح.. بتضيق.

خليها تضيق، في الآخر برضه هـ تـُفرج.

•••

جالها استدعاء من أمن الدولة، رابع يوم من سرقة المكتب.

افتكرنا إن مجدي بيعمل كده كنوع من إرهابنا، ما هو بلطجي ومعاه علاقات. بس عم صالح – بحكم شغله في الشرطة- قال: لأ، مش لدرجة استدعاء في أمن الدولة.، وربط بين الدعوى والتحريات.

كان قلقان. كان خايف من البهدلة وهو في السن ده، والدنيا ماشية معاه بالزق .. يادوب بالزق.

ما راحتش مريم أول مرة، فجالها استدعاء تاني. قلت لها: يبقى نروح مع بعض.

عم صالح رفض.

•••

رحت أمن الدولة بدري.

رحت قبل ميعادهم بساعة، طلبت إني أقابل العقيد محمد محسن، اللي جاي الاستدعاء باسمه، اسم حركي، واديتهم بطاقتي، طلبوا مني الانتظار في الريسيبشن. وبعد شوية ندهوا على اسمي.

- اتفضل بطاقتك وروَّح، العقيد محسن مش عايز يقابلك.
- ماهو أنا لازم أقابله عشان هو طالب حد ...

- أنت مش مطلوب في حاجة، وأنا مش هدخلك، وإن ما مشيتش من هنا هتنضرب وهتترمي في الشارع، فـ أمشي علي رجليك أحسن.

ما مشيتش. عديت الرصيف التاني وقعدت على القهوة. وفضلت متابع العربيات اللي بتعدي واللي بتقف.

نزل عم صالح ومعاه مريم من التاكسي، ودخلوا على الجهاز على طول، حاولت أدخل وراهم الأمن اللي برا على المدخل، منعني قبل ما أقرب.

وبعد ساعتين من القلق، كانت مريم خارجة مع والدها.

عم صالح قال لي: مش هينفع تركب معانا، هـم عارفين إنك هنا، وفيه كاميرات شايفاك. روَّح، وبعدين هكلمك.

•••

تليفون مريم فضل مقفول لحد الساعة ٨ بالليل. أول ما فتحته كلمتني.

- قالوا لي أبعد عنك، ومالیش دعوة بيك مرة تانية.

- أنتِ هتخافي منهم يا مريم، وإلا هتخافي من ربنا سبحانه وتعالى اللي قال: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا".

- معلش، نستنى الدنيا تهدى شوية، خلينا بعيد يومين ثلاثة، وبعدها نتقابل ونشوف هنتصرف ازاي، بابا دلوقتي قلقان جدا، وأنا مش عايزة مشاكل.

•••

قبلها بكام أسبوع كنت جبت لمريم شبكة.

كان مصطفى معانا لما اشتريت لها ٣ غوايش وخاتم وأنسيال وسلسلة ودبلة ليها، ودبلة ليا عمري ما قلعتهاش من إيدي.

والدها قبل الشبكة على أساس ٣ حاجات؛ أولاً حاسين إن أنا بحبها، ثانياً عارفين إني بادرس في الدين الإسلامي ولو اقتنعت ممكن أشهر إسلامي، ثالثاً أنا قلت لهم: "لو ما اتجوزتش مريم شبكتي هدية ليها، ومش لازم حد يعرف من الجيران".

تليفون مريم مقفول، دايما مقفول.

•••

بعد أسبوع كلمتني من الشارع: "ما تقولش اسمي، عايزة أشوفك قدام مسجد مصطفى محمود ، الساعة ٣".

قابلتها وركبنا تاكسي، وقعدنا في نادي ضباط الشرطة اللي في الزمالك.

•••

فيه ناس بمجرد ما تشوفهم، يتبخر منك الحزن، مريم بالنسبة لي كده.

واحشاني يا مريم.

•••

"أنت متراقب، وأنا متراقبة، كل خطوة بنمشيها محسوبة علينا، هددوني بصريح العبارة، وقالوا لي إنهم ممكن يعملوا فيا ويسووا حاجات كتير".

"قالوا لي: إن كنتِ غلطتي معاه في حاجة، قولى لنا واحنا نظبَّطه، ونطلع لكِ ميتين أهله واللي جابوه، قلت لهم : ده إنسان محترم، وما عملش معايا أي حاجة وحشة، وأبويا عارف، وجاب لي شبكة، قالوا لي: انسي حكاية الشبكة دي، ارميها في الزبالة، رجعيها له، خديها وحلال عليكِ، المهم ما

تتكلميش عنها".

هددوا مريم بالقتل، وبالخطف، وبالفضح. هددوها بكل حاجة.

والظابط سألها عن جواب رئيس الجمهورية، وحكاية نشره في جورنال الشرق الأوسط. ولما قالت لي كده اطمنت أن محدش هيقدر يعملنا حاجة.

وعشان هي برضه تطمن، اتفقنا إن احنا ما نتقابلش لفترة.

•••

وكان لازم أبقى بعيد عن أسرتي.

شفت في عينين كل واحد منهم .. القلق.

كانوا خايفيين، من ساعة صور الجوابات اللي كانت بترجع من رئاسة الجمهورية، بحكم أنها مبعوته بعلم الوصول، خايفين. بس مش عارفين يقولوا لي حاجه. هيقولوا لي إيه: سيب البيت؟

مشيت من البيت.

مش مهم. مش مهم إنك تكون مع اللي بتحبه، المهم تكون متأكد إن أنت في قلب اللي بتحبه.

•••

شهر ونص ما بنتقابلش.

بس كان فيه تليفونات، وفي التليفونات قالت لي إنها بدأت تعمل بوتيك، وإنها محتاجة بضاعة. طلبت إني أساعدها في التجهيزات، رحت لها. ركِبنا الرفوف، وفرشنا البضاعة.

عرفت منها إن فيه ناس من أمن الدولة بتيجي تلف حوالين المحل، منهم اللي اتكلم معاها وطلب منها إن لو فيه حد مضايقها أو ضايقها في المنطقة تقول له.

مريم حست باطمئنان. ورجعنا نتقابل زي الأول، بس ما بقيتش أروح بيتهم، عم صالح كان لسه قلقان، وحالته الصحية ما كانتش تسمح بالتوتر. وعلشان كده طلب من مريم إنها تقول لي ما آجيش عندهم البيت، وتفكرني باتفاقه معايا.. "مفيش جواز غير لما القانون يسمح".

تم تحديد أول جلسة في المحكمة.١١ مايو ٢٠٠٤، القضاء الإداري، الدقي.

•••

بلغت المحامي بالميعاد.

قال لي إن فيه ناس من جهات سيادية سألوه عني، وإنه قال لهم: الراجل ده نضيف، وما عملش حاجة غلط، وبيتكلم بالقانون، عايزين تردوا عليه، ردوا بالقانون. وإنه حس منهم بالاحترام.المحامي بدأ يظهر في برامج قانونية على التليفزيون المصري، في خلال ٦ شهور طلع أكتر من ٥ مرات، شفته مرة في قناة النيل الثقافية، كان بيتكلم في برنامج عن الاستشارات القانونية، حاولت أتصل بيه على الهوا من الرقم اللي بيطلع على الشاشة، بس الرقم كان مشغول طول الوقت، وموبايله كان مغلق علشان الهوا.

بعد البرنامج لقيته بيتصل، قال لي: "أنت أول واحد بكلمه، لأنك وش الخير عليا".

وعرفت منه إن ابنه خريج الحقوق بتقدير مقبول، كان مقدم في النيابة، لكن بدون أي أمل. واتقبل من أول مرة.

وعرفت منه إن فيه موافقة على إنه يتابع الدعوى. والسبب إنهم لما سألوا وتابعوا وشافوا الدعوى، عرفوا إني ما باتكلمش من ناحية دينية أو طائفية، اني باتكلم في القانون، والبلد لازم تمشي بالقانون.

•••

ماكانش المحامي بيحضر الجلسات، كان بيبعت محامية محجبة من مكتبه. مرة سألتها: "أنتِ إيه رأيك؟"، قالت لي: "ماينفعش طبعاً، ازاي يعني الولاد يطلعوا مسيحيين"، قولت لها: " أولاً، مسألة الولاد دي مسألة رزق من عند ربنا، ثانياً لو ربنا رزقني بولد، هـاخليه هو اللي يختار دينه، هيبقى دوري معاه أني أعلمه كويس لحد ما يبقى عنده القدرة على الاختيار، وهو حر، عايز يبقى مسلم ..يبقى مسلم، عايز يبقي حتي يهودي..يبقي يهودي، ربنا اداله على عشان يميز بيه وربنا هو اللي هيحاسبه في الآخر على إختياره، ثالثاً الدين مش بالبطاقة".

ما كانتش بتتكلم بلغة القانون. قالت لي:"بس جواز حضرتك من مسلمة حرام، ده بيخالف الشرع".

قلت لها: "طيب ما الدولة بتبيح تجارة الخمور، رغم إن ده بيخالف الشرع، بندخن سجاير مع إن دار الإفتاء والكنيسة قالوا إن السجاير حرام. أنتِ ما تنفعيش محامية، لأنك أصلا مش عارفة الفرق ما بين الشرع والقانون، روحي الأزهر وادرسي، جايز تبقي فقيهة في الدين، بس بلاش تمارسي المهنة دي، لأنها مش بتاعتك".

كانت بتحضر معايا الجلسات بس عمرها ما اتكلمت.

•••

هيئة قضايا الدولة، هي المسئولة عن الدفاع عن الدولة، في القضايا التي ترفع ضد الدولة. كان بيمثلها في الجلسة ثلاثة مستشارين، أصغرهم ما يقلش عن خمسين سنة، والثلاثة ما اتكلموش في أي قضية من القضايا اللي في الرول، إلا في قضيتي.

كنت واقف وحدي وجنبي المحامية بتتفرج، واحد قال لي منهم: "ده بيخالف الشريعة الإسلامية"، قلت له: "ومَن له الحق أن يتكلم باسم الشريعة الإسلامية .. حضرتك أم الأزهر".

فتم إرسال طلب لأخذ رأي دار الإفتاء.

قال التاني: "القانون يمنع"، قلت له: "لو عندك نص في القانون يمنع، قولهولنا".

رئيس المحكمة طلب من هيئة قضايا الدولة الإجابة عن تقديم ما يدل على أن القانون يمنع.

المستشار الثالث اتكلم بالقانون، وسألني عما يثبت أن الجهة الإدارية تمنع التوثيق. فالمحكمة طلبت مني ما يثبت أن وزارة العدل ترفض جوازي من مريم، بترفض التوثيق.

•••

كل ما يجى عريس لمريم، عم صالح يرفضه، الموضوع اتكرر كتير، والتكرار الكتير خلّى أخوات مريم البنات، يلحوا في أنهم

يعرفوا السبب. وقالت لهم مريم علي حكايتنا، واحدة منهم قالت لها: "يا بختك، دا المسيحيين بيعاملوا ستاتهم أحسن معاملة، هو فيه مسيحي بيضرب مراته". أختها التانية ودي كانت جايبه لمريم عريس صاحب جوزها، أصرت على إن الموضوع ده لازم ينتهي، لأنه هـ يجيب مشاكل للعيلة كلها، ولو مانتهاش هتقطع علاقتها بمريم وبوالدها.

وقطعت علاقتها بـ مريم، وبوالدها، وبـأخواتها.

•••

رحت وزارة العدل. طلبت أوثق عقد زواج مسيحي من مسلمة .. رفضوا. طلبت منهم آخد الرفض ده مكتوب، فرفضوا!.

كتبت شكوى لمكتب السيد وزير العدل، وأرسلت منها نسخة إلى مساعد وزير العدل لشئون التوثيق، شكوى برقمين مسلسلين، وأرفقت معاها صورة الدعوى.

واستنيت الرد على الشكوى.

في الوقت ده هيئة قضايا الدولة ردت على المحكمة *(٢)، بعتت مذكرة توضيحية بأنها ملتزمة ليس بقانون، لأنه لا يوجد قانون يمنع أساساً، لكنها ملتزمة بتفسير الشريعة الإسلامية.

رحت أسأل على الشكوى، قالوا لي راحت مكتب النائب العام، رحت مكتب النائب العام، قالوا لي راحت مكتب مساعد النائب العام لنيابات شمال، رحت هناك.. لقيت الشكوى محجوزة للتحقيق معايا، في ميعاد محدش أخطرني بيه!

وفي الميعاد اللي اتحدد، كنت واقف قدام مكتب المحامي العام لنيابات شمال، سألت أحد الموظفين عن شكوى برقم كذا تم إرسالها بتاريخ كذا. وبرقم طلعه من دفتر دخل للسيد المحامي العام.

المحامي العام قال له: "تم حفظ الشكوى لتعليمات إدارية، ولا يوجد مجال للتحقيق".

جاني المحامي بتاعي، حاول يحصل على ما يثبت حفظ الشكوى لتعليمات إدارية، فاترد عليه: "مفيش، ومحدش استدعاه، هو جه من نفسه، ومعنى كده إن مفيش داعي".

ما عرفتش أجيب ما يثبت أن وزارة العدل بترفض التوثيق.

ودار الإفتاء ردت على المحكمة، بأن ما أطلبه يخالف الشريعة.

•••

ابتديت أشتغل تاني.

كنت بآخد شغل هندسي بدون ورق، من الباطن، وعلشان هو بدون ورق ومن الباطن.. الشغلانة أم ألف، بآخدها بـ ٥٠٠ جنيه، وكتير ما كنتش أعرف أجيب الـ ٥٠٠ جنيه كلهم. كنت مضطر أقبل بأي سعر، كان لازم أقف على رجليا من تاني، بعد سرقة المكتب.

أجرت روف في نصر الدين، أوضة وصالة على السطوح. ودفعت مقدم علشان يبقى المكان إيجار قديم.

وبعد شوية بدأ ييجيني شغل تاني في شرم الشيخ والغردقة وسفاجا، شغل مؤقت. بس شغل.

وفي الوقت ده صدر حكم المحكمة.

•••

باسم الشعب

مجلس الدولة

محكمة القضاء الإداري

الدائرة الأولى

بالجلسة المنعقدة علنا في يوم الثلاثاء الموافق ١/٣/ ٢٠٠٥

حكمت المحكمة:

بقبول الطعن شكلا، ورفضها موضوعا، وألزمت المدعي المصروفات. *(٣)

•••

أنا اللي قلت للمحامي إن الدعوى اترفضت. كالعادة المحامي ما جاش.

بعد الحكم، في نفس اليوم، جاني الاتصال اللي من غير رقم. نفس الشخص، من نفس الجهة السيادية، بس المرة دي طلب يقابلني.

قابلته في كازينو على النيل، سمع مني، وفي الآخر قال لي تعليماته بشكل لطيف:

"بلاش تصعيد، بلاش تشوف مريم، بلاش تتكلم كتير". وقال لي إنه ممكن يساعدني في الإجراءات والورق لو أنا عايز آخد مريم وأسافر بيها برا. وكلمني شوية عن البلد وقال لي إن فيه تعديلات دستورية يمكن تحصل قريب، وقال لي وهو بيحاسب وماشي: "أنت ربنا بيحبك علشان صوتك وصل فوق، بس أنت بتنطح في الصخر".

وماله، الصخر برضه بيحن. وبيطلع من قلبه نبات.

•••

في ٢٠٠٥، حصلت تعديلات دستورية.*(٤)

•••

مصطفى بقى طول الوقت مكتئب. حتى بعد ما خلص موضوع الجيش.

لقينا محامي لدى القضاء العسكري، قال لنا: "هآخد ٣ آلاف جنيه، وأجيب له شهادة الخدمة"، الكلام ده كان في ٢٠٠٦، دبرت المبلغ، وفي المحكمة العسكرية مصطفى خد ٦ شهور

سجن.

قضاهم، واتفصل، وأخد شهادة كما لو كان أدى الخدمة العسكرية. وبدأ يتابع حالة والده، ويبات معاه في المستشفى.

بس مصطفى من بعد حادثة السرقة، من بعد ما لقى إن حقه ضاع، واتعرض لتجاوزات من الشرطة، واتخطف، واتسجن، واتفصل من الجيش.. ونتيجة إحساسه إن كل ده حصل علشان واقف مع أهله، واقف مع أبوه المريض، كل ده خلاه مكتئب. ومش عارف ينزل شغل.

•••

فهمت من المحامي إن قبول الطعن شكلا معناه إن الدعوى صحيحة، والقبول ده معناه إن فيه قرار سلبي.

في القرارات الإدارية، فيه حاجة اسمها قرار إيجابي، وفيه قرار سلبي. والامتناع عن تنفيذ شيء المواطن شايف إنه من حقه - التوثيق، أو ما يثبت قانونية عدم التوثيق- قرار سلبي، طبقا لأحكام المحكمة الدستورية العليا.

المحكمة الإدارية في مصر عندنا درجتين، قضاء إداري.. الدرجة العادية، وبعدين الإدارية العليا.

- كده نقدر ندخل دائرة الإدارية العليا، للبحث في الموضوع.
- ندخل الإدارية العليا، أتعاب سيادتك كام؟

•••

طبعا المرحلة الأولى ليها أتعابها، والمرحلة التانية برضه لها أتعابها. وكان برضه مبلغ كبير، الأستاذ ما طلبهوش كتعسف، هو حس إن أنا كما لو كنت مليونير، أو إن فيه حد بيساعدني، ما كانش فاهم اللي فيها.

وقبلت، وجمعت كل الفلوس اللي ليا في الشغل، علشان ياخد برضه أتعابه كاملة.

وبدأنا في إجراءات رفع الدعوى في المحكمة الإدارية العليا.

بعد ما الأستاذ طلب نقض الحكم، وكتب الأسباب.

٤ أسباب، في ٣ صفحات.*(٥)

•••

وقدمت هيئة مفوضي الدولة تقريرها في مارس ٢٠٠٦.*(٦).

وفي ١٣ فبراير ٢٠٠٧، حكمت المحكمة.

•••

"وبالكشف في سجلات المحكمة الإدارية العليا وجد المنطوق كما يلي:

حكمت المحكمة بإجماع الآراء برفض الطعن وبمصادرة الكفالة، وألزمت الطاعن المصروفات" *(٧).

•••

كده نروح المحكمة الدستورية.

هندخل في تفسير المادة التانية من الدستور، "الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع"، والمادة ٤٠ اللي بتقول: "المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة".

إيه الفرق ما بين الشريعة ومبادئ الشريعة؟ هل كون مبادئ

الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع، هل يعني ذلك أنها المصدر الوحيد للتشريع؟ هل المادة التانية علشان ترتيبها نمرة اثنين، يكون لها الأولوية في تطبيق القانون، لأنها مقدمة على المادة ٤٠؟ وماذا عن مبادئ ومواثيق حقوق الإنسان التي وقعت عليها مصر؟

المحكمة الدستورية في النهاية، هي اللي لها الكلمة الأخيرة.

•••

بعت رسالتي الخامسة لرئيس الجمهورية. قلت فيها إن القضاء المصري، قضاء عنصري. كلمني نفس الشخص، من الجهة السيادية، واتقابلنا في كنتاكي التحرير.

قال لي: "الصورة اللي واصله عنك، إنك راجل محترم، مش غاوي تعمل شبورة، ولا عايز تعمل فرقعة، علشان كده احنا بنكلمك بهدوء، لأننا عارفين إنك هتفهم معنى الكلام".

طلب مني إني أنتظر شوية وبلاش تصعيد للدستورية، لأن المرحلة اللي بتمر بيها البلد محتاجة هدوء، وأن الضوضاء والضجيج ممكن يُستخدموا ضدي.

وقال لي: "فيه تعديلات دستورية تانية قُريب".

وطلب مني ما أشوفش مريم، ولو اتقابلنا لأي ضرورة، نتقابل

في أماكن عامة كأننا زملاء عمل، ممكن نقعد في كنتاكي، مؤمن، بيتزا هت .. أي مطعم من المطاعم دي.

•••

وفي ٢٠٠٧ حصلت تعديلات دستورية *(٨)، وفيها تم إقرار المواطنة واعتبارها الأساس الذي يُقام عليه نظام الحكم، ودي كانت دفعة أمل كبيرة ليا.

•••

عم صالح حالته الصحية ساءت جدا. زادت أدوار الغيبوبة، وزادت زيارات المستشفى.

كنت باعمل شغلانة في شرم الشيخ، لما اتصلت بيا مريم وقالت لي: "احنا رايحين المستشفى، فلو ينفع تيجي ياريت، بابا عايز يشوفك".

ما عرفتش آخد طيارة في نفس اليوم بسبب ظروف الشغل. وصلت تاني يوم.

لقيتهم نصبوا له في الشارع، وولاده بياخدوا العزا.

•••

شفت مريم بميعاد في ٢٠٠٨، اتصلت بيا في يوم، وقالت لي انها محتاجة فلوس.

بعد وفاة عم صالح بـ ٥ شهور، اتوفت أم مصطفى. ومصطفى انعزل عن الناس، ما بقاش بيخرج من البيت تقريباً، ومابقاش قادر يشتغل، المعاش نقص كتير، اتبتر منه ٨٠٪ على الأقل بعد وفاة الأم والأب، والباقي ماعدش يكفي أكل وشرب.

ما كنتش بقابل مريم من بعد وفاة والدها ووالدتها، ما كانش ينفع. كان لازم أراعي إنها بقت لوحدها، وإن ما ينفعش نتقابل إلا في أضيق الظروف. والمرة دي واحدة من أضيق الظروف.

جبت لها فلوس بزيادة، كنت عارف إن عليها أقساط كتير، وإن فيه ديون اتراكمت عليها من أيام المستشفى، وإن إخواتها، كل واحد عنده مشاكله الخاصة، اللي تخليه ما يعرفش يشوف مشاكل اللي جنبه. ومش هيعرفوا يساعدوها.

الظروف اللي كانت فيها، خلتها تنسى تسألني عن الدعوى. لما اتقابلنا.

•••

ما دخلتش المحكمة الدستورية. ما كانش معايا فلوس. كان الشغل بدأ يقل، ويقل، ويقل. لحد ما بقى بييجي على فترات بعيدة. ما كانش قدامي بديل غير إني أستنى، على أمل إن يحصل تغيير. أي تغيير.

•••

وفي يوم حلمت حلم، حلمت إني كسبت القضية، وأني اتجوزت مريم. كنت شايلها بين دراعاتي، وابتسامتها ماليه وشها، وأنا حاضنها قدام الناس كلها.

ولما صحيت كتبت رسالة لشيخ الأزهر. الكلام ده في ٢٠٠٩.

•••

بسم الله الحق، العدل، الواحد لكل البشر

العالم الجليل، الإمام الأكبر، شيخ الإسلام.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى .. شيخ الجامع الأزهر.

حفظكم الله زخرا للحق، وتحية مباركة لك من عمق قلبى.

وبعد،

مقدمه لسيادتكم المواطن المصري

الاسم /..... السن : ٤٠ سنة

ب رقم قومي/ شخصية /.....

المهنة/ مهندس ميكانيكا وصاحب مكتب هندسى "مسروق حاليا".

مسيحى الديانة. ومسلم إلى الله حسب ما علمني السيد المسيح عيسى بن مريم كلمة الله الحى، وكما تعلم فالإسلام هو إلى الله وليس إلى صاحب الرسالة.

فضيلة الإمام الأكبر.

أنت من العلماء الأجلاء القلائل الذين أتابع الاستماع إلى خطبهم وأحاديثهم، وأراك من ذوى الألباب، الذين فتح الله قلوبهم وأنار بصيرتهم، لمعرفة الحق والدعوة إلى الحق، مبغي كل الرسالات السماوية.

حجة الإسلام.

لقد تقدمت منذ ٥ سنوات بطلب ودعوى قضائية أمام مجلس الدولة في وطني مصر لإلغاء قرار سلبى عنصرى يمنع إشهار وتوثيق عقد زواج يسمح لى بالزواج من إنسانة أحبها، وأنا مسيحى وهي مسلمة في وطني مصر، كما يتزوج المسلم من مسيحية في وطني مصر.

هي تحبني وأنا أحبها، ومحمد بن عبد الله أحب عائشة، فحين سأله عمرو بن العاص: "يارسول الله، من أحب الناس إليك، فأجاب: عائشة". صحيح البخاري.

الرسول الكريم الذي جاء بالحق - حسب ما يؤمن بذلك كل أتباعه- تزوج من السيدة ماريا القبطية.. المسيحية، وإلى الآن يحدث هذا الزواج سواء في الوطن أو خارجه، وفي دول يُقال عنها مسيحية، بدون مانع أو عائق، استنادا إلى قوله تعالى فى سورة المائدة : "اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ..." إلى آخر الآية الكريمة. صدق الله العظيم.

والرسول الكريم قال في وثيقة نجران المختومة بخاتمه الشريف *(٩): "لهم مَا لنا وَعَليهِم مَا عَلينا". الرسول الذي قالت عنه عائشه: " كان كلام رسول الله، صلي الله عليه وسلم كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه"، الرسول لم يقل "دون الزواج"، ولم يميز.

والتمييز العنصرى بعيد عن الأنبياء، لأنه أول تعاليم الشيطان الرجيم. الذي بدأ التمييز حينما رفض أن يتساوى مع كل الملائكة، حينما ميز نفسه عن أقرانه وأبى واستكبر، وتبعه في ذلك سائر الشياطين الملاعين. والآن يتبعه بعض البشر، وباسم الحق والعدل يصبحون ضد الحق والعدل، ويقولون على أن ذلك أمر الحق المبين.

الله عادل.

الإسلام هو دين المساواة والحرية وحقوق الإنسان.

سمعت فضيلتكم أكثر من مرة تقول ذلك في عدة لقاءات دينية عن الحوار بين الأديان، شاهدتك تردد ذلك في أجهزة الإعلام المختلفة، وفي أمسيات دينية رمضانية على مدى عدة سنوات.

وبالتأكيد تقول ذلك، لأنك عالم جليل يعلم حقيقة الدين وسماحته ويملك من الأدلة الدينية والفقهية ما يؤكد على ما يقوله، إنني لست أظن أبدا أنك من الذين يقولون ما لا يفعلون، الذين قال القرآن الكريم عنهم: "كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ". كما قال جل جلاله: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا" صدق الله العظيم .

يا حجة الإسلام، أنت على كرسى مشيخة الأزهر الشريف الذي

كان دوما حاميا للوسطية والاستنارة على مدى التاريخ، والذي جلس عليه علماء أجلاء لا يمكن أن يغفلهم التاريخ الإسلامي كله مثل الشيخ شلتوت، والشيخ الباقورى، والإمام محمد عبده .. رحمة الله عليهم جميعا. ومنهم الشيخ الباجورى رحمة الله عليه، شيخ الإسلام في عهد الخديوى عباس الأول.

ويذكر التاريخ أن الخديوى عباس فكر في إصدار قرار بإخراج جميع المسيحيين من مصر وطردهم ونفيهم إلى السودان، فأرسل بذلك إلى الشيخ الباجورى يطلب منه فتوى دينية ليستند عليها للقيام بهذا الأمر.

فقطب الشيخ وجهه، وقال "الحمد لله أنه لم يطرأ على ذمة الإسلام طارئ ولم يستول عليه خلل حتى يغدر عباس الأول بمن هم في ذمته إلى اليوم الآخر". فغضب الخديوى عباس وقال لأتباعه وحاشيته خذوه عني.

هذه يا سيدى هي مكانة الأزهر الشريف دوما. ومكانة مَن يجلس على كرسى مشيخة الأزهر الشريف الجليلة.

هناك سفهاء يجعلون من رسالة محمد رسالة عنصرية وليست رسالة الحق المبين، ويجعلون من القرآن الكريم، الكتاب المنزل من الله لكى يهدى الناس للحق، يجعلونه يدعو للتمييز العنصرى. علما بأنني قرأت القرآن الكريم مرات ولم أجد فيه ما يدع إلى التمييز العنصرى في الحب والزواج للرجل المسلم عن الرجل المسيحى بل يدعو إلى الحق والعدل والحكم بالحق والعدل، "وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ"، "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ" صدق الله

العظيم ، وما أنزل من الله هو الحق والعدل .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر.

يا سيدى إن الله جعلك في هذا المنصب الجليل، للدفاع عن إسلام الحق والعدل والمساواة أمام كل هؤلاء الجهلاء والعنصريين ومدعين التدين الجهلاء بحقيقة الدين السمح، فعادوا بالإسلام إلى عهد الجاهلية الأولى، إنهم يفتون بأن المرأة المسلمة التي تتزوج من المسيحي الذي يحبها، يفتون بأن يكون دم هذه المرأة المسلمة والمسيحي الذي يتزوج منها معا حلالا، كما كان يفعل المشركون في عهد الجاهلية الأولى من وأد الأحياء.

سيدي الإمام الأكبر.

الأمر جد خطير ويحتاج البدء في تصحيح المفاهيم. يحتاج من فضيلتكم أن تصطحب فضيلة المفتي الأستاذ الدكتور علي جمعة، والسيد الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، وتذهبوا جميعا إلى المملكة العربية السعودية، مهبط الإسلام، لمناقشة هذا الموضوع لأنه جد خطير ومصيري.

علما بأن الدكتور/ حسن الترابى رئيس حزب المؤتمر الشعبى في السودان الشقيق -(وزعيم جماعة الإخوان المسلمين في السودان)- قد أصدر فتوى بجواز وإباحة زواج المرأة المسلمة من الرجل المسيحي كما يتزوج الرجل المسلم من المسيحية طالما لن يكرهها على تغيير دينها وهذا هو الحق والعدل وعين الحكمة والعقل. ولقد تم نشر موضوع هذه الفتوى وتوابعها

في عدة مجلات وصحف ومواقع مصرية وعربية. وتزوجت بمقتضي فتواه مسلمه بمسيحي *(١٠)، والشيخ القرضاوي أفتى ببقاء الزوجة المسلمة التى دخلت الإسلام على ذمة زوجها الكتابي.*(١١)

وفي الختام، يا سيدي.

أنفقت كل ما أملك في سبيل دعواي وطلب حقي، وأنا الآن بلا عمل وبلا مال وبلا سكن ومكتبي الهندسي مسروق منذ ٣ سنوات.

لا أظن أنني سوف أستطيع الزواج، حتى ولو سمح القانون بذلك أو سمح به الوطن، لأنني لا أملك مالا للزواج. ولكنني أفعل كل هذا دفاعا عن الحق في وطني ومن أجل مستقبل أفضل بديلا عن الصراع بين الحضارات والأديان أو تكفير الآخر أو إرهابه.

إنني آمل أن نتعلم جميعا حب الآخر بمساواة، دون تمييز، دون كره، دون ظلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

•••

نفسي أجيب من مريم دستة عيال.

•••

كلمتها في التليفون، واتفقنا نتقابل، واتقابلنا.

قلت لها:

وضع البلد مش باين، مش عارف إن كان فيه تعديلات دستورية هتحصل ولا لأ، ومش عارف لو حصلت هتحصل امتى، النهارده ولا بعد ٥ سنين، مريم احنا بـ نكبر. أنا حاولت أعمل حاجة، وبحاول، ولآخر نفس يطلع من صدري.. هحاول، بس المشكلة في السنين اللي بتجري. العمر يا مريم، اللي بيتسرق مننا سنة ورا سنة.

اتجوزي.

اتجوزي يا مريم وخلفي. قبل ما تيجي اللحظة اللي تتمني فيها إنك تخلفي، وما تعرفيش. مش عايز أكون السبب في حرمانك من حقك إنك تبقي أم.

•••

عيطت، وفضلت تعيط كتير وهي بتقول لي: "أتجوز ازاي؟ أنت كده بتطلب مني إني أخونك، أني أبيع نفسي لحد غيرك".

قلت لها: "عموماً أنا مكمل، وأول ما تيجيني فلوس، هروح المحكمة الدستورية.. وأكمل.ولو خدتي قرار إنك تستني، أنا معاكِ، وهـافضل طول عمري معاك، بس أنتي لازم تفكري في كلامي كويس، وعلشان تفكري كويس، أنا هابعد شوية".

•••

أصعب حاجة إنك تسيب حد وأنت مقتنع أنك لازم تسيبه، في نفس الوقت اللي أنت عارف فيه إن عمرك ما هـتبقى مبسوط وأنت بعيد عنه.

•••

كان آخر مرة أشوف فيها مريم.

•••

اتفقت مع المحامي إننا نروح المحكمة الدستورية.

طلبت منه إنه يبدأ في الإجراءات لحد ما أدبر له دفعة من الأتعاب، فطلب مني نستنى شوية لما انتخابات مجلس الشعب تخلص. ونشوف البلد رايحة فين.

•••

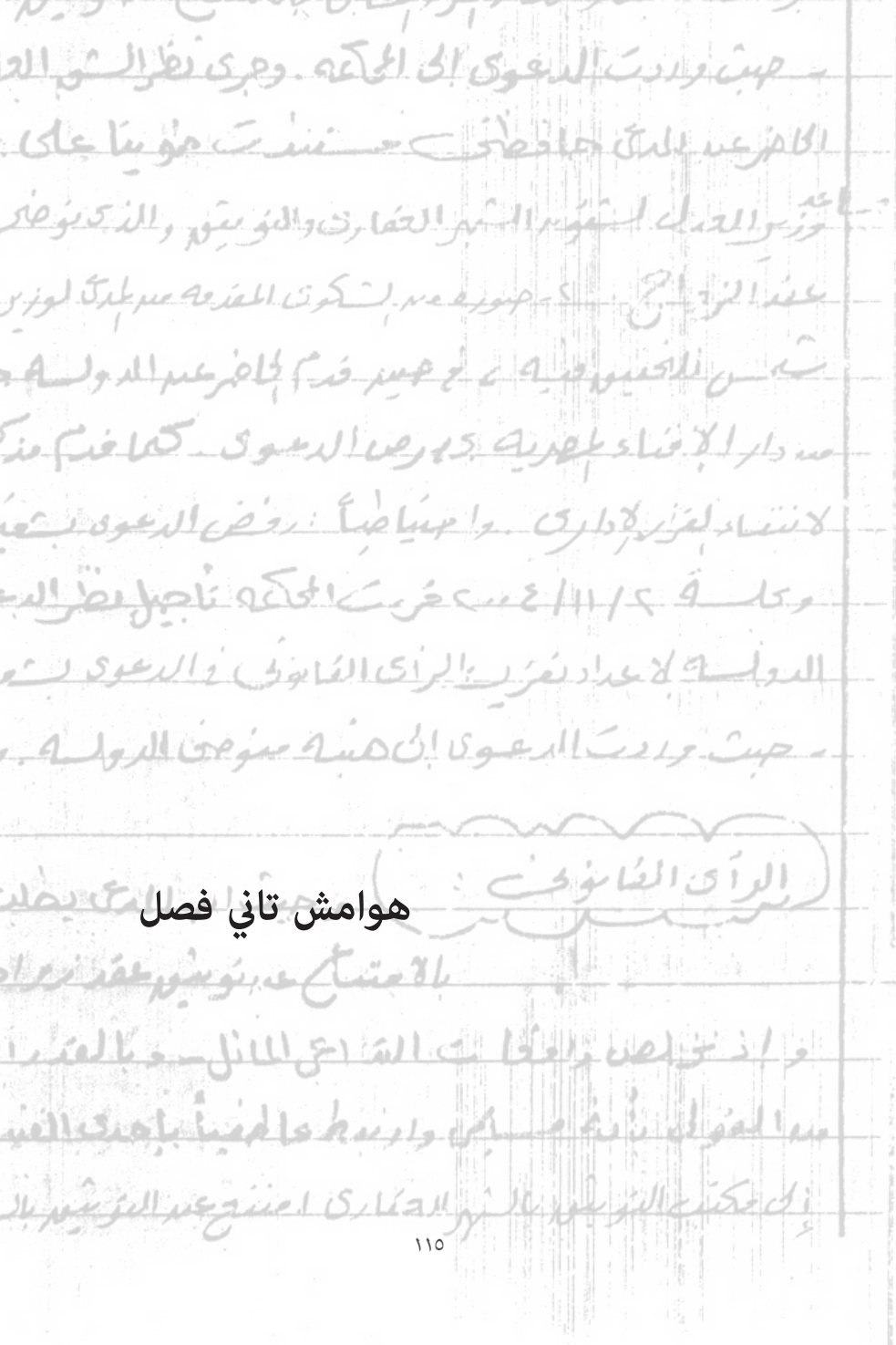

هوامش تاني فصل

***(١) "القرآن حمّال ذو وجوه".**

السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» عند النوع التاسع والثلاثين في معرفة الوجوه والنظائر:

صنف فيها قديما مقاتل بن سليمان ومن المتأخرين ابن الجوزي وابن الدامغاني وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري وابن فارس وآخرون، فالوجوه للفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، وقد أفردت في هذا الفن كتابا سميته معترك الأقران في مشترك القرآن، والنظائر كالألفاظ المتواطئة وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعا لأقسام والنظائر نوعا آخر، وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثا مرفوعا لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة، قلت هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفا ولفظه لا يفقه الرجل كل الفقه وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد، وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر، وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها ، قال حماد فقلت لأيوب أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوها أهو أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه قال نعم هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة، وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصا فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة.

*(٢) صورة ضوئية من مذكرة رد هيئة قضايا الدولة.

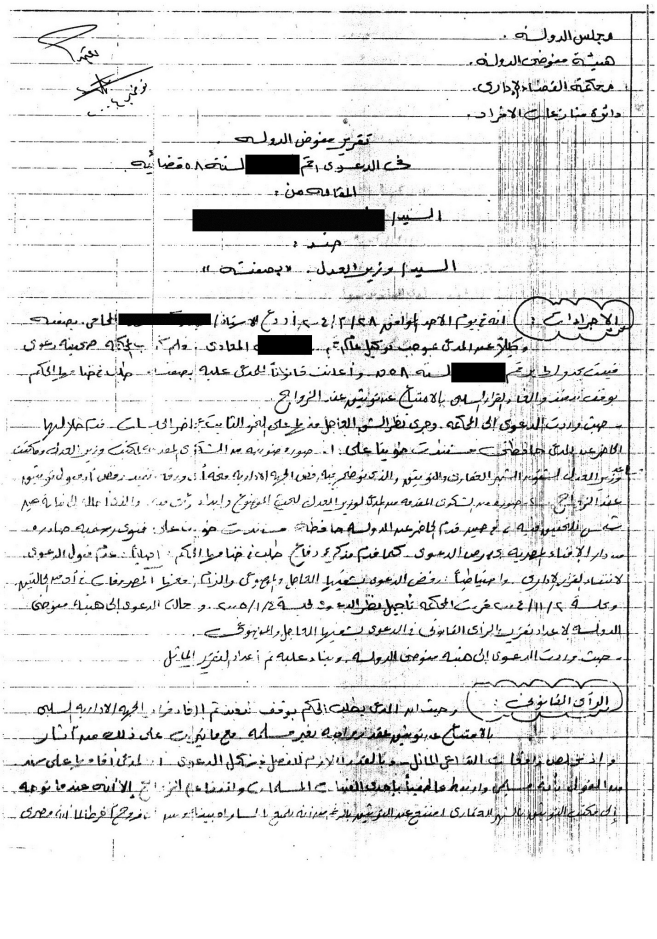

مجلس الدولة
هيئة مفوضي الدولة
محكمة القضاء الإداري
دائرة منازعات الأفراد

تقرير مفوض الدولة
في الدعوى رقم [redacted] لسنة ٨٥ قضائية
المقامة من:
السيد [redacted]
ضد:
السيد وزير العدل «بصفته»

الإجراءات: في يوم الأحد الموافق ٢٨/٤/٢٠٠٤ أودع الأستاذ [redacted] المحامي بصفته وكيلاً عن المدعي بموجب توكيل رقم [redacted] لسنة ٨٥ ق المعادي، عريضة دعوى قيدت بجدول برقم [redacted] لسنة ٨٥ ق وأعدت قانوناً للعمل عليه بصفته، طلب في ختامها الحكم بوقف وإلغاء القرار السلبي بالامتناع عن تسوية معاش الزواج.

وبعد مرور المدة المحددة قانوناً لإيداع هيئة مفوضي الدولة تقريرها، وقد أودعت بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢٦ وتداولت بالجلسات على النحو المبين بمحاضرها، وبجلسة ٢٠٠٤/١٠/٢٣ قررت المحكمة إحالة الدعوى إلى هيئة مفوضي الدولة لإعداد تقرير الرأي القانوني في الدعوى بشقيها العاجل والموضوعي.

وبعد مرور المدة المحددة قانوناً لإيداع هيئة مفوضي الدولة تقريرها، وقد أودعت بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢٣ قررت المحكمة إحالة الدعوى إلى هيئة مفوضي الدولة لإعداد تقرير الرأي القانوني في الدعوى بشقيها العاجل والموضوعي.

وبعد مرور المدة المحددة قانوناً لإيداع هيئة مفوضي الدولة تقريرها، وقد أودعت بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢٣ قررت المحكمة إحالة الدعوى إلى هيئة مفوضي الدولة لإعداد تقرير الرأي القانوني في الدعوى بشقيها العاجل والموضوعي.

وبعد مرور المدة المحددة قانوناً لإيداع هيئة مفوضي الدولة تقريرها، وقد أودعت بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢٣ قررت المحكمة إحالة الدعوى إلى هيئة مفوضي الدولة لإعداد تقرير الرأي القانوني في الدعوى بشقيها العاجل والموضوعي.

وبعد مرور المدة المحددة قانوناً لإيداع هيئة مفوضي الدولة تقريرها، وقد أودعت بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢٣ قررت المحكمة إحالة الدعوى إلى هيئة مفوضي الدولة لإعداد تقرير الرأي القانوني في الدعوى بشقيها العاجل والموضوعي.

الرأي القانوني: حيث إن المدعي يطلب إلى المحكمة بوقف تنفيذ القرار السلبي بالامتناع عن تسوية معاش الزواج المقرر له بقرار رئيس الجمهورية رقم [redacted] لسنة ٨٥ ق المعادي، وإلغاء هذا القرار، وما يترتب على ذلك من آثار.

وإذ توافر ركن الاستعجال في الطلب العاجل، لما يترتب على تنفيذ القرار المطعون فيه من حرمان المدعي من مورد رزقه الوحيد، الأمر الذي يتوافر معه ركن الاستعجال، فإن الدعوى تكون مقبولة شكلاً.

***(٣) نص حكم محكمة القضاء الإداري.**

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب

مجلس الدولة

محكمة القضاء الإداري

الدائرة الأولى

بالجلسة المنعقدة علنا في يوم الثلاثاء الموافق ١/٣/ ٢٠٠٥

برئاسة السيد المستشار/

فاروق علي عبدالقادر رئيس محكمة القضاء الإداري

وعضوية السيدين الأستاذين المستشارين/

أحمد محمد صالح الشاذلي نائب رئيس مجلس الدولة

وإبراهيم سيد أحمد الطحان نائب رئيس مجلس الدولة

وحضور السيد الأستاذ المستشار / مفوض الدولة

وسكرتارية السيد/ سامي عبد الله أمين السر

أصدرت الحكم الآتي

في الدعوى رقم [redacted] لسنة ٥٨ ق

المقامة من

[redacted]

ضد

وزير العدل بصفته

الوقائع

أقام المدعي هذه الدعوى بموجب صحيفة أودعت قلم كاتب المحكمة بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٨، وطلب في ختامها الحكم بوقف تنفيذ القرار السلبي بالامتناع عن توثيق عقد زواجه، وفي الموضوع بإلغاء هذا القرار.

وذكر المدعي بيانا للدعوى أنه مسيحي الديانة، وقد ارتبط عاطفيا بفتاة مسلمة واتفقا على الزواج، وقاما بالتردد على الأماكن المحددة لتوثيق عقد الزواج غير أنه لم يجد مَن يقدم له ما يحتاج فتقدم بشكوى للنائب العام غير أنه قد تم حفظها، واتصل بلجنة الفتوى بالأزهر فلم يجد أمامه سوى الدعوة إلى الإسلام.

ونعى المدعي على مسلك جهة الإدارة الرافض لتوثيق عقد زواجه مخالفة ذلك للدستور والقانون الذي يسوي بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات باعتبارهم نسيجا واحدا، واختتم المدعي عريضة دعواه بالطلبات سالفة البيان.

وتحدد لنظر الشق العاجل من الدعوى جلسة ٢٠٠٤/٥/١١ والجلسات التالية على النحو الثابت بالمحاضر، فقدم الحاضر عن

المدعي حافظتي مستندات، وقدم الحاضر عن الدولة حافظة مستندات ومذكرة دفاع طلب في ختامها الحكم أصليا بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الإداري، واحتياطيا برفض الدعوى بشقيها.

وبجلسة ٢٠٠٤/١١/٢ كلفت المحكمة هيئة مفوض الدولة إعداد تقرير بالرأي القانوني في الدعوى لشقيها العاجل والموضوعي.

وتنفيذا لذلك أودعت الهيئة تقريرا ارتأت فيه الحكم بعدم قبول الدعوى شكلا لانتفاء القرار الإداري وإلزام المدعي المصروفات، وبجلسة ٢٠٠٥/١/٤ قررت المحكمة حجز الدعوى للحكم بجلسة اليوم وصرحت بالاطلاع وتقديم مذكرات ومستندات لمن يشاء من الطرفين خلال أربعة أسابيع، فقدم المدعي مذكرة تمسك فيها بالطلبات، وقدم الحاضر عن الدولة مذكرتي دفاع طلب فيهما الحكم أصليا: بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الإداري واحتياطيا: برفض الدعوى، وصدر الحكم وأودعت مسودته المشتملة على أسبابه عند النطق به.

المحكمة

بعد الاطلاع على أوراق وسماع الإيضاحات والمداولة قانونا.

من حيث إن المدعي يهدف بدعواه إلى الحكم بقبول الدعوى شكلا، وبوقف تنفيذ وإلغاء القرار المطعون فيه فيما تضمنه من امتناع الجهة الإدارية عن توثيق عقد زواجه من فتاة مسلمة مع ما يترتب على ذلك من آثار وإلزام جهة الإدارة المصروفات.

ومن حيث إنه عن الدفع المبدئ من الدولة بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الإداري ـ ويصرف النظر عن أساس ذلك المتمثل في عدم وجود ثمة إلزام على جهة الإدارة لتوثيق العقد المذكور ـ فإن البين من الأوراق (مذكرة دفاع الدولة الأولى المقدمة بتاريخ ٢٠٠٥/١/١٨ خلال فترة حجز الدعوى للحكم) أن الجهة الإدارية

قد امتنعت عن توثيق عقد الزواج المشار إليه، ومن ثم يقوم بهذا القرار الإداري بالمعنى الاصطلاحي له بما يجعله محلا لدعوى الإلغاء.

ومن حيث إن الدعوى قد استوفت سائر أوضاعها الشكلية الأخرى المقررة قانونا، ومن ثم تكون مقبولا شكلا. ومن حيث إن الدعوى قد تهيأت للفصل في موضوعها ومن ثم فإن هذا يغني بحسب الأصل عن البحث في الشق العاجل. ومن حيث إنه عن الموضوع، فإن المادة (٢) من الدستور تنص على أن: (الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع).

وفي المادة (٩) على أن.

(الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق الوطنية ...)

وفي المادة (٤٠) على أن.

(المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة).

وفي المادة (٤٦) على أن تكفل الدولة حرية العقيدة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

وتنص المادة (١٣٥) من القانون المدني على أن إذا كان محل الالتزام مخالفا للقانون للنظام العام أو الآداب كان العقد باطلا.

ومفاد ما تقدم أن الدستور قد قرر في إفصاح جهير أن دين الدولة هو الإسلام، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وفي ضوء هذا الأصل يتعين النظر إلى أحكام الدستور الأخرى المتعلقة بالأسرة ـ التي هي أساس المجتمع ـ وحرية

العقيدة وعدم التفرقة بين المواطنين بسبب الدين أو العقيدة، فتفسر هذه الأحكام في حدود ما يسمح به الإسلام وعلى نحو لا يتعارض مع مبادئه أو يتنافى مع أحكامه، وقد تضمن الدستور قواعد آمرة تخاطب الدولة والمواطنين ويلتزمها الحاكم والمحكوم في التشريع والقضاء والإدارة ولا يمكن الخروج عليها وإلا عُدّ ذلك مخالفا للنظام العام.

ففكرة النظام العام تعني الأساس السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك مما يقوم عليه كيان الدولة كما ترسمه القوانين المطبقة فيها وعاداتها المرعية، وهي أكثر ظهورا في نطاق الأحوال الشخصية لاتصالها بنظام الأسرة الخلية الأولى للمجتمع، لذلك فإن القواعد المنظمة للأسرة خاصة ما يتعلق منها بالزواج والطلاق تعتبر من النظام العام.

وحيث إن المسلم تطبق عليه أحكام الشريعة الخاصة به، وغير المسلم تطبق عليه أحكام أخرى تختلف باختلاف المذهب أو الطائفة وذلك في حدود القوانين المعمول بها والنظام العام، وتطبيق القواعد الخاصة بكل طائفة تبعا لما تدين به ليس فيه تمييزا بين المواطنين أو مساسا بحرية العقيدة أو إهدارا لمبدأ المساواة، ولكن فيه إقرار بحرية هذه العقيدة وتنظيم لمسائل الأحوال الشخصية في حدودها وحدود الدين.

ولا ريب في أن الشريعة الإسلامية تضمنت أحكاما خاصة بالأحوال الشخصية متعلقة بالنظام العام لا يمكن إهدارها أو إغفالها بحال من الأحوال مثل حكم زواج المسلمة من غير مسلم الذي بصدده موضوع النزاع الماثل.

ومن حيث إن المستقر عليه في أحكام الشريعة الإسلامية في الموضوع المشار إليه وما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أن زواج المسلمة من غير المسلم حرام وغير جائز شرعا وذلك

حسبما انتهت إليه دار الإفتاء المصرية بالفتوى المرفقة بأوراق الدعوى والمؤرخة ٢٠٠٤/٥/٢٥ ولا يؤثر في ذلك أو يقدح فيه ما تناولته مذكرات المدعي من أن ذلك يخالف حرية العقيدة ويتعارض مع مبدأ المساواة خاصة وأن زواج المسلم من الكتابية أمر جائز حيث إن ذلك مردود عليه بأن حرية العقيدة تعني أن لكل إنسان أن يؤمن أو يعتقد ما يشاء ولا سبيل عليه فيما يدين به في أعماقه غير أنه لا يستطيع أن يترتب على ذلك آثارا خارج نطاق ذاته طالما كان ذلك يخالف النظام العام، كما أنه لا وجه للقول بإهدار مبدأ المساواة ذلك أن هذا المبدأ لا يعني التماثل من جميع الوجوه بين جميع الأفراد وإن اختلفت مراكزهم القانونية، والمساواة بينهم بشكل مطلق إنما يعني هذا المبدأ عدم التمييز والتفرقة بين أفراد الطائفة الواحدة إذا تماثلت بينهم المراكز، وهذا التمييز غير متحقق في الدعوى الماثلة، ومن ثم فلا سبيل للقول بالإخلال بمبدأ المساواة.

كما أنه لا مجال للاعتصام بأن زواج المسلم من الكتابية أمر جائز حيث إن لهذا الأمر وللموضوع الراهن بالنزاع الماثل لكل وجهة فيما أحله الله وحرمه، فزواج المسلم من محصنات أهل الكتاب أمر أحله الله بقوله تعالي:

(اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان، ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) المائدة الآية (٥)

وهكذا فقد أراد الله تعالى للإسلام أن يكون سمحا مع أهل الكتاب الذين يعيشون في كنفه وبين أهله وفي دياره أو تربطهم به روابط الذمة والعهد، فلم يشأ ـ بعد أن ترك لهم حرية العقيدة الدينية ـ أن يعزلهم عن مجتمعه فيصبحوا في المجتمع الإسلامي

معزولين أو منبوذين، بل شملهم بجو من المشاركة الاجتماعية والمودة والمجاملة والخلطة فجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلا لهم كذلك ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة وليظل المجتمع كله بظل المودة والمسامحة، وكذلك جعل من نسائهم طيبات للمسلمين بزواج المسلمين منهن ووضعهن على قدم المساواة مع نساء المسلمات في المهور والنفقات،

حيث إن الإسلام مجتمع عالمي لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى الكتابية ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة التي تظلها راية المجتمع الإسلامي فيما يختص بالعشرة والسلوك.

أما بالنسبة لزواج المسلمة من الكتابي (المسيحي) فهو محرم شرعا كما سلف البيان ذلك أن الأبناء يدعون لآبائهم بحكم الشريعة الإسلامية لقوله تعالى (أدعوهم لآبائهم) كما أن الزوجة هي التي تنتقل إلى أسرة الزوج وقومه وأرضه بحكم الواقع وحينما تنتقل الكتابية مع المسلم بعد الزواج فإنها تكون آمنة على نفسها فلا جبر عليها ولا إكراه أن تظل على دينها، كما أنه لا خوف عليها في كنف زوج يؤمن بكتابها وبرسولها ولا يتم إيمانه إلا بهذا، بينما أنه إذا كان العكس بأن تزوجت المسلمة من كتابي فإنها تعيش بعيدة عن قومها وقد يفتنها ضعفها ووحدتها هناك عن إسلامها خاصة وإنها في كنف زوج لا يؤمن بكتابها ولا بنبيها.

وترتيبا على ما تقدم، فإن عقد زواج المدعي وهو مسيحي من فتاة مسلمة باطل لمخالفته للنظام العام ولا يترتب عليه أي أثر ولا يجوز قانونا توثيقه أمام الجهة الإدارية المختصة، ولا تثريب على هذه الجهة بإصدار القرار المطعون فيه بالامتناع عن توثيق العقد المذكور، ومن ثم يصبح هذا القرار مطابقا لصحيح حكم القانون، الأمر الذي تكون معه الدعوى الماثلة منهارة الأساس جديرة بالرفض.

ومن حيث إن من خسر الدعوى يلزم المصروفات عملا بحكم المادة (١٨٤) مرافعات.

فلهذه الأسباب

حكمت المحكمة:

بقبول الدعوى شكلا، ورفضها موضوعا، وألزمت المدعي المصروفات.

سكرتير المحكمة رئيس المحكمة

***(٤) استفتاء تعديل الدستور المصري ٢٠٠٥**

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

تم هذا الاستفتاء على دستور ١٩٧١ في مصر في يوم ٢٥ مايو ٢٠٠٥. وقد تضمن هذا الاستفتاء تعديل مادتين في الدستور، وتمت الموافقة عليه بنسبة ٨٣٪ من الشعب.

تصاعدت حدة الأصوات المطالبة بالإصلاحات الديمقراطية مع بداية عام ٢٠٠٥، وتراوحت مطالبها ما بين إدخال تعديلات على البنية الدستورية والتشريعية للحياة السياسية في مصر، ومعارضة التجديد للرئيس السابق حسني مبارك لفترة رئاسية خامسة، ومواجهة احتمالات توريث السلطة لابنه جمال، أمين السياسات والأمين العام المساعد بالحزب الوطني الديمقراطي الذي كان مسيطرا على الحكم.

في فبراير ٢٠٠٥ أعلن الرئيس السابق عن مبادرة لتعديل المادة (٧٦) من الدستور، بحيث يكون انتخاب رئيس الجمهورية عن طريق الاقتراع السرى العام المباشر من جميع أفراد الشعب الذين لهم حق الانتخاب، بدلا من اختيار رئيس الجمهورية بطريق الاستفتاء، بعد ترشيح مجلس الشعب لشخص واحد للرئاسة.

تفاصيل التعديلات

ووفقا للمادة لنص المادة (١٨٩) تقدم بطلب إلى مجلس الشعب بشأن التعديل المذكور، وبإضافة مادة جديدة برقم(١٩٢) مكررا، وأقر مجلس الشعب في ١٠ مايو ٢٠٠٥ تعديل المادة ٧٦ من الدستور

بعد موافقة ٤٠٥ من الأعضاء على هذا التعديل، وطُرحت المادة بشكلها الجديد للاستفتاء الشعبي في ٢٥ مايو ٢٠٠٥، وجاءت

الموافقة عليها بنسبة تقريبية بلغت ٨٣٪ من إجمالي نسبة المشاركين في الاستفتاء.

ارتباطا بالمادة (٧٦) من الدستور، فقد تم إضافة مادة جديدة هي المادة ١٩٢ مكررا، والتي تم فيها تغيير مسمى الاستفتاء إلى الانتخاب في كل المواد التي ترتبط باختيار رئيس الجمهورية.

المواد التي خضعت للتعديل هي المادة ٧٦ والمادة ١٩٢.

***(٥) طلب نقض حكم محكمة القضاء الإداري.**

إنه في يوم الثلاثاء الموافق ٤/٢٦/ ٢٠٠٥.

أودعت هذه الصحيفة قلم كتاب وقيدت تحت رقم/.....

من الأستاذ/ ..... والكائن ..... ـ القاهرة

بصفته وكيلا عن السيد/..... مرفق التوكيل على هذه الصحيفة.

ضد

السيد/ وزير العدل بصفته ويعلن سيادته لهيئة قضايا الدولة

طعنا

في الحكم الصادر في الدعوى رقم [redacted] لسنة ٥٨ق والصادر بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١ والصادر بالمنطوق التالي:

حكمت المحكمة: بقبول الدعوى شكلا، ورفضها موضوعا، وألزمت المدعي المصروفات.

وقائع الطعن بإيجاز

تخلص وقائع القضية في أن الطاعن عقد الخصومة ابتداء بينه وبين المطعون ضده بالدعوى رقم [redacted] لسنة ٥٨ ق طالبا في ختامها الحكم بوقف تنفيذ القرار السلبي بالامتناع عن توثيق عقد زواجه وفي الموضوع بإلغاء هذا القرار.

وإذا لم يرتضي الطاعن الحكم سالف الذكر فقد طعن عليه بالطعن الماثل وذلك للأسباب التالية:

أولا: الخطأ في تطبيق القانون.

ثانيا: القصور في التسبيب.

ثالثا: الفساد في الاستدلال.

رابعا: الإخلال بحق الدفاع.

أولا: الخطأ في تطبيق القانون

حيث إن الحكم سالف الذكر المطعون فيه قد شابه العيب الجسيم والمخالفة الصارخة للقانون فالطاعن يطعن فيه لمخالفته للدستور الذي يسوي بين الجميع في الحقوق والواجبات فلا يفرق بين مسلم ومسيحي.

ومن حيث إن المادة (٢) من الدستور تنص على أن: (الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع). وبالرجوع لهذه المادة نجد أنها ليس المصدر الوحيد فهناك مصادر أخرى مثل العرف والعادات فلا يجب التفسير الضيق وإنما يجب أن تفسر المادة على التفسير الأشمل والأعم وليس التفسير القاصر الضيق الأفق.

وتنص المادة (٤٠) على أن (المواطنين لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة) وبتطبيق هذا النص الدستوري نجد أن الجميع سواء فلا يجب الكيل بمكيالين مما يعطي الحق للطاعن في طعنه.

وتنص المادة (٤٦) على أن (تكفل الدولة حرية العقيدة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية) أي أننا نعيش في مجتمع واحد لا تمييز عنصري ولا تفرقة بين الأشخاص لا بسبب الدين أو اللون أو الجنس.

ثانيا: القصور في التسبيب

حيث إن الحكم الصادر لم يذكر أسباباً قانونية أو منطقية تؤيد حكمه وإنما اكتفى بصياغة الحكم وسرد أسباب نفيها فيمكن أن تفسر ضد الحكم وليس لصالحه وذلك ما بيناها في البند الأول.

ثالثا: الفساد في الاستدلال

حيث إن الحكم استند إلى المادة (١٣٥) من القانون المدني والتي تنص على (أن كان محل الالتزام مخالفا للنظام العام أو الآداب كان العقد باطلا). فهذه المادة تطبق على العقود المدنية والتي يكون محل الالتزام فيها شيء قابل للتصرف علما بأننا نعيش في كنف دولة دستورية يحكمها الدستور الذي يكفل للجميع حرية التصرف دون الإضرار بالغير ومن هنا يكون هذا الحكم قابلا للإبطال لتقييد حرية الطاعن وإعاقته عن تحقيق رغبته التي كفلها له الدستور والقانون حيث إنها رغبة من الطرفين وليس من قبل طرف واحد فرفض توثيق زواج الطاعن من الفتاة المسلمة يعتبر تعدي صارخ على حقوق الإنسان وكسر القوانين والمواثيق الدولية المتعامل بها والمعاهدات الدولية علما بأن الزواج ما هو إلا عبارة عن رابطة اجتماعية يغلفها الإشهار مع الإيجاب والقبول وجميع هذه العناصر متوافرة، من هنا كان لزاما على الجهة الإدارية تلبية رغبة الطاعن.

رابعا: الإخلال بحق الدفاع

حيث إن المحكمة لم تلتفت لدفاع وطلبات الطاعن في المرافعة الشفوية والمذكرات التحريرية المقدمة في الدعوى ولم تستجب إلى طلبات لذا كان هذا الطعن.

بناء عليه

نلتمس من عدالة المحكمة الموقرة الآتي:

أولا: قبول الطعن شكلا لتقريره في الميعاد القانوني.

ثانيا: بصفة مستعجلة إلغاء الحكم المطعون عليه.

ثالثا: القضاء بنقض الحكم وإحالة الدعوى لمحكمة أخرى لنظر الطعن ونظر طلباته من جديد.

وكيل الطاعن

***(٦) تقرير هيئة مفوضي الدولة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الدولة

هيئة مفوضي الدولة

المحكمة الإدارية العليا

الدائرة الأولى

تقرير مفوض الدولة في الطعن رقم [redacted] لسنة ٥١ ق.ع

المقام من

[redacted]

ضد

وزير العدل بصفته

الإجراءات

أنه في يوم الثلاثاء، الموافق ٢٠٠٥/٤/١٢م،

أودع الأستاذ المحامي/ ..... بالنقض والإدارية العليا، تقرير الطعن الماثل قلم كتاب المحكمة الإدارية العليا، بصفته وكيلا عن الطاعن بموجب تكيل تعهد بإيداعه، قيد بجدولها تحت رقم [redacted] لسنة ٥١ ق.ع، طعنا علي الحكم الصادر من محكمة القضاء الإداري ـ الدائرة الأولي ـ في الدعوى رقم [redacted] لسنة ٥٨ق، بجلسة ٢٠٠٥/٣/١م، فيما قضي به من (حكمت المحكمة، بقبول الدعوى شكلا، ورفضها موضوعا، وألزمت المدعي المصروفات.)، وطلب الطاعن في ختام تقرير طعنه الحكم بقبول الطعن شكلا، وبصفة مستعجلة بإلغاء الحكم المطعون فيه، والقضاء بنقض

الحكم المطعون فيه وإحالة الدعوى إلي محكمة أخري لنظرها من جديد، وتم إعلان تقرير الطعن إلي المطعون ضده بصفته.

الوقائع:

تتلخص وقائع الطعن الماثل، انه بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٨م، أودع الطاعن، صحيفة دعواه ابتداء أمام محكمة القضاء الإداري، قيدت بجدولها تحت الرقم المذكور عاليه، طالبا في ختامها الحكم بوقف تنفيذ ثم إلغاء القرار السلبي بالامتناع عن توثيق عقد زواجه، وفي الموضوع بإلغاء ذلك القرار.

وذكر الطاعن شرحا لدعواه انه مسيحي الديانة، وارتبط عاطفيا بفتاة مسلمة واتفقا علي الزواج، ولدي قيامهم اتخاذ الإجراءات القانونية لتوثيق عقد الزواج، إلا أن الجهات المختصة أصمتت أذنيها عن طلبه، فتقدم بشكوي إلي النائب العام، الذي انتهي إلي حفظها، فذهب إلي لجنة الفتوي بالأزهر الشريف، فلم يجد أمامه سوي اعتناق الإسلام، ونعي المدعي علي مسلك جهة الإدارة مخالفته للدستور والقانون الذي سوي بين جميع المصريين في الحقوق والواجبات علي اعتبار أنهم نسيج واحد، يشكل كيان هذا الوطن الذي يضم الجميع تحت رايته، انتهي إلي طلب الحكم بالطلبات الواردة بختام صحيفة دعواه، علي النحو السالف بيانه.

وتدول نظر الدعوى أمام المحكمة علي النحو المبين بمحاضر الجلسات، ابتداء من جلسة ٢٠٠٤/٥/١١م، والجلسات التالية، حيث قدم الحاضر عن المدعي حافظتي مستندات، وقدم الحاضر عن الدولة حافظة مستندات ومذكرة دفاع طلب في ختامها الحكم أصليا: بعدم قبول الدعوى انتفاء القرار الإداري، واحتياطيا برفض الدعوى بشقيها، وبجلسة ٢٠٠٤/١١/٢م، كلفت المحكمة هيئة مفوضي الدولة بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الإداري وإلزام المدعي المصروفات، وبجلسة ٢٠٠٥/١/٤م قررت المحكمة

حجز الدعوى للحكم بجلسة ٢٠٠٥/٣/١م وصرحت بالإطلاع وتقديم مذكرات ومستندات لمن يشاء من الطرفين خلال أربعة أسابيع، فقدم المدعي مذكرة تمسك فيها بالطلبات السالف بيانها، وقدم الحاضر عن الدولة مذكرة بدفاع صمم فيها علي طلباته، وبالجلسة المحددة (حكمت المحكمة، بقبول الدعوى شكلا، ورفضها موضوعا، وألزمت المدعي المصروفات).

وشيدت المحكمة قضائها علي أن الدستور قرر في صراحة تامة أن الإسلام دين الدول الرسمي ومباديء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، وفي ضوء هذه الأصول يتعين النظر إلي أحكام الدستور فيما يتعلق بالأسرة التي تعد حجر الزاوية بالنسبة لتكوين المجتمع، وان زواج المسلمة من غير المسلم حرام وغير جائز شرعا، حسب الثابت من الكتاب والسنة والإجماع، وهو ما أكدته دار الإفتاء المصرية لدي استطلاع رأيها بخصوص الدعوى الماثلة، ولا إخلال في ذلك بين المصريين بمبدأ المساواة، إذ أن المساواة في هذا المبدأ تعني ضرورة المساواة بين جميع من تماثلت مراكزهم القانونية، أما إذا اختلفت المراكز القانونية فلا يجوز الاحتجاج بمبدأ المساواة، وان الإسلام وان أباح زواج المسلم من الكتابية، للعمل علي دمج أهل الكتاب في المجتمع المسلم، إلا أن ذلك لا يعني إمكانية زواج المسلمة من غير المسلم لكون ذلك يخالف أصول الشريعة الإسلامية، ومن ثم فإن قرار الجهة الإدارية برفض توثيق عقد الزواج بين المدعي وبين من يرغب في الزواج منها، يكون قد قام على أساس يؤدي إليه، وانتهت المحكمة إلى قضائها السالف البيان.

وإذا لم يلق هذا الحكم قبولا لدي الطاعن فقد أقام طعنه الماثل، ناعيا على الحكم المطعون فيه، الخطأ في تطبيق القانون، إذن الدستور وإن كان قد اعتبر الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، إلا أنها ليست المصدر الوحيد بل هناك العرف والعادات وفقا للتفسير الواسع والأشمل، وليس التفسير القاصر الضيق

الأفق، كما أننا نعيش في وطن ومجتمع واحد لا تميز عنصري بين الأشخاص بسبب الدين أو اللون أو الجنس، والقصر في التسيب، حيث إن الحكم لم يورد أسباباً قانونية تؤيده وتحمله، وأن الأسباب يمكن أن تفسر ضد الحكم، وينعي عليه كذلك الفساد في الاستدلال إذ أن المادة (١٣٥) من القانون المدني اعتبرت أن محل العقد إذا كان مخالفا للنظام العام والآداب، كان باطلا، وان هذه المادة تطبق علي العقود المدنية، والتي يكون محلها شيء قابل للتصرف فيه، أما العقود التي تقتصر علي مجرد تسجيل وإشهار رغبة طرفيها كعقود الزواج، فإن تأييد الحكم المطعون فيه لمسلك جهة الإدارة برفض توثيق عقد الزواج، يكون قد خالف القانون مما يتعين إلغائه.

الرأي القانوني

من حيث إنه عن شكل الدعوى، فإن الثابت من الأوراق أن الحكم المطعون فيه صدر بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١م، وبتاريخ ٢٠٠٥/٤/٢٦م، أودع تقرير الطعن الماثل، ومن ثم يكون قد أودع خلال الميعاد القانوني طبقا للمادة المنصوص عليه في المادة (٤٥) من قانون مجلس الدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢م، وإذ استوفى الطعن سائر الأوضاع الشكلية المقررة قانونا، فانه يكون مقبول شكلا.

ومن حيث إنه عن الشق العاجل، فإن البحث في الموضوع يغني التعرض له.

ومن حيث إنه عن الموضوع، فإن المادة (٢) من الدستور تنص على أن: (الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع.)

وفي المادة (٩) علي أن.

(الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق الوطنية.....)

وفي المادة (٤٠) علي أن.(لمواطنون لدي القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.)

وفي المادة (٤٦) علي أن.(تكفل الدولة حرية العقيدة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية.)

وتنص المادة (١٣٥) من القانون المدني علي أن.(إذا كان محل الالتزام مخالفا للقانون للنظام العام أو الآداب كان العقد باطلا.).

ومن حيث إن قضاء المحكمة الدستورية العليا مستقر على أن، ما نص عليه الدستور في مادته الثانية ـ بعد تعديليها سنة ١٩٨٠ ـ من أن مبادىء الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، إنما يتمخض عن قيد يجب على السلطة التشريعية أن تتحراه وأن تنزل عليه في تشريعاتها الصادرة بعد هذا التعديل،

فلا يجوز لنص تشريعي أن يناقض الأحكام الشرعية القطعية في ثبوتها ودلالتها، باعتبار أن هذه الأحكام وحدها هي التي يكون الاجتهاد فيها ممتنعا، لأنها تمثل من الشريعة الإسلامية مبادئها الكلية، وأصولها الثابتة التي لا تحتمل تأويلا أو تبديلا، ومن غير المتصور بالتالي أن يتغير مفهومها تبعا لتغيير الزمان والمكان، إذ هي عصية على التعديل، ولا يجوز الخروج عليها، أو الالتواء بها عن معناها، وتنصب ولاية المحكمة الدستورية العليا في شأنها، علي مراقبة التقيد بها، وتغليبها على كل قاعدة قانونية تعارضها، ذلك أن المادة الثانية من الدستور، تقدم على هذه القواعد، أحكام الشريعة الإسلامية في أصولها ومبادئها الكلية، إذ هي إطارها العام، وركائزها الأصلية التي تفرض متطلباتها دوما بما يحول دون مراقبة إقرار أية قاعدة قانونية على خلافها، إلا اعتبر ذلك تشهيا وإنكارا لما علم من الدين بالضرورة.....).

(حكم المحكمة الدستورية العليا في الدعوى رقم ٥ لسنة ٨ دستورية، جلسة ١٩٩٦/١/٦م)

وفيما يتعلق بالمادة (٤٠) من الدستور ليست مساواة حسابية، ذلك أن المشرع يملك بسلطته التقديرية ولمقتضيات الصالح العام وضع شروط موضوعية تتحدد بها المراكز القانونية التي يتساوى بها الأفراد أمام القانون بحيث إذا توافرت هذه الشروط في طائفة من الأفراد، وجب إعمال المساواة بينهم لتماثل مراكزهم القانونية، فإذا انتفي مناط التسوية بينهم بأن توافرت الشروط في بعضهم دون الآخر، كان لمن توافرت فيهم الشروط دون سواهم أن يمارسوا الحقوق التي كفلها لهم القانون.....).

(حكم المحكمة الدستورية العليا في الدعوى رقم ١٦ لسنة ٨ق د دستورية، جلسة ١٩٨٩/٥/١٢م).

ومن حيث إن دار الإفتاء المصرية، انتهت بخصوص الدعوى الصادر فيها الحكم المطعون فيه، لدى استطلاع رأيها من جانب هيئة قضايا الدولة، بأن صحة الزواج شرعا وقانونا تستلزم توافر أركانه وشروطه، وامتناع موانعه، والركن هو جزء الشيء الداخل في حقيقة المحقق لهويته، فلا يقوم عقد الزواج إلا بعد استكمال أركانه وهي الزوجة الخالية من الموانع الشرعية والقبول والإيجاب والشاهدان فأكثر، ومن موانع الزواج قيام المحرمية بين الطرفين فلا يجوز زواج الرجل بأمه ولا بابنته ولا بعمته ولا خالته إلى آخر المحرمات نسبا، ولا يجوز له أن يجمع بين امرأتين إذا فرضت إحداهما ذكرا لا يجوز له أن يتزوج بالأخرى، كالجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، ولا يجوز له أن يطلب أحدهم عقد زواج بين مثلين، فلا يجوز أن يتزوج الرجل الرجل، ولا المرأة المرأة، ولا يجوز أيضا أن يتزوج غير المسلم المسلمة، واعتبار النسب أو المصاهرة أو الجنس أو اختلاف الدينين لا علاقة له بالتفريق بين المواطنين المنتمين إلى بلد واحد بل يرجع إلى

فقدان شرط معتبر ديانة.....،

وزواج غير المسلم بالمسلمة حرمته ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفا وخلفا شرقا وغربا، وذلك لأن الدين جعل القوامة للرجل وفرض عليه الإنفاق ودفع المهر وبيده سلطة التطليق، وهذه الحالة تعطيه مركزا أعلى من مركز المرأة في الأسرة، والرجل المسلم يؤمن بكل الأنبياء كجزء من دينه والرجل غير المسلم لا يؤمن بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا كان زواج غير المسلم بالمسلمة مصادمة للنظام العام وللدستور، ولأصل الديانة المقطوع بها عند المسلمين نصا وفقها وعملا، فهي من ثوابت الدين التي لا يجوز التلاعب فيها، وليست محلا للاجتهاد، لأن الاجتهاد إنما يكون في الأمور الظنية التي لا تتعلق بهوية الإسلام....)

(فتوى دار الإفتاء المصرية الصادرة في الثلاثاء الموافق، السادس من شهر ربيع الأول لسنة ١٤٢٥ من هجرية، ٢٠٠٤/٥/٢٥م،)

ومن حيث إنه بتطبيق ما تقدم على وقائع الطعن الماثل، فإن الثابت من الأوراق أن الطاعن مسيحي الديانة يبغي الزواج من امرأة مسلمة الديانة، وتوثيق عقد الزواج، تأسيسا على مبدأ المساواة بين المواطنين في جميع الحقوق والواجبات العامة، ومبدأ حرية العقيدة، وحق المواطنة، أنه يتعين تفسير النصوص الدستورية والقانونية تفسيرا واسعا وشاملا، لا تفسيرا قاصرا ضيق الأفق ينم عن تفرقة عنصرية على أساس الدين، واعتبار مسيحي هذا البلد مواطنين من الدرجة الثانية، فإنه لما كانت الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع وفقا لما نص عليه الدستور في المادة الثانية، فإن الدستور بذلك يكون قد أعلى من شأن القواعد التي تضمنتها هذه الشريعة وقدمها على ما غير من المصادر الأخرى، فلا يجوز اللجوء إلي المصادر الأخري إلا إذا لم تتضمن الشريعة السمحاء حكما، ولما كانت الشريعة الإسلامية فيما يتعلق

بأحكام الزواج والطلاق ومختلف الأحوال الشخصية قد فصل الأمور المتعلقة بها على نحو ما، على اعتبار أنها تتعلق بتكوين الأسرة التي تعد الأساس للمجتمع، ومن هذه الأحكام ما يتعلق منها بعقد الزواج، مبينا ضرورة توافر أركانه وشروط صحته، وعدم وجود موانع شرعية، فضلا عن توافر الإيجاب والقبول، وشاهدي العدل، ومن الموانع الشرعية اختلاف الدين، فلا يصح زواج المسلمة من غير المسلم، وهذا ثابت الحرمة بالكتاب والسنة والإجماع، إذ يعد من ثوابت الدين التي لا يجوز الاجتهاد فيها على اعتبار أنها تتعلق بهوية الإسلام ذاته، وأن الاجتهاد إنما شرع لبيان الحكم في الأمور الظنية، وبالتالي فإن زواج الطاعن من امرأة مسلمة إنما يتصادم مع النظام العام للمجتمع، ويعد من الأمور التي لا يتقبلها أحد في المجتمع الإسلامي، على اعتبار أن الكفاءة في الإسلام تعد من الأمور التي تعتبر فيها.

ومن حيث إن ما ذهب إليه الطاعن من القرار المطعون فيه، قد أهدر مبدأ المساواة بين المواطنين المنصوص عليه في المادة (٤٠) من الدستور، مردود عليه، إذ أن ما جرى عليه قضاء المحكمة الدستورية العليا، أن المساواة التي عنتها المادة المشار إليها إنما تتصرف إلى من تتماثل ظروفهم ومراكزهم القانونية، ومن المعروف أن المركز القانوني للمسلم يختلف للمركز القانوني للمسيحي، لاختلاف القواعد القانونية الواجبة التطبيق على كل منهما فيما يتعلق بمسائل الأحوال الشخصية، وخاصة ما يتعلق منها بالزواج والطلاق، من جواز التعدد والطلاق على سبيل المثال عند المسلمين، وحظر ذلك لدى المسيحيين.

فضلا عن ذلك فإن ما ذهب إليه الطاعن من مخالفة ذلك لحرية الاعتقاد، مردود عليه أيضا إذ أنه أمن في اعتقاده وفقا لما يطمئن إليه قلبه، ويرتاح إليه وجدانه، فلا يجبر علي اتباع دين معين، وقد كفل الدستور حرية الاعتقاد وقدسها، فلا يجبر شخص على ترك دينه، واتباع دين آخر، بل إن الإسلام ذاته أقر ذلك صراحة

بقرآن منزل على النبي صلي الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى(لا إكراه في الدين)، فالقرآن الكريم حظر إجبار أي شخص على اعتناق الإسلام، بل وأوصى بغير المسلمين من أهل الكتاب خيرا من حرصه على علاقة المودة معهم مثل زواجه صلى الله عليه وسلم منهم، وأكله من طعامهم، ووصاياه لقواد جيوشه في الحرب بعدم التعرض. للكهنة أو دور العبادة، وهذا النهج هو ما حرص عليه الصحابة رضوان الله عليهم، من ذلك أن الفاروق عمر رفض أن يصلي داخل الكنيسة في بيت لحم على الرغم من إلحاح الكاهن عليه، فرد عليه بقوله: (لو صليت هنا لأخذها المسلمون ولقالوا هنا صلى عمر)، أي أن عمر صلي بالخارج لحرصه علي دار العبادة للمسيحيين، ومن ثم فلا يقبل القول بأن وضع الإسلام شروط وقواعد لنظام الزواج وتطبيقها على أتباعه إنما ينطوي علي مصادرة لحرية الاعتقاد لدى الآخرين، إنما هو قول بعيد عن الحقيقة الثابتة في نصوصه وسنة الرسول الكريم وأفعال صحابته الكرام، ومحاولة الطاعن الربط بين زواجه من مسلمة، ورفض توثيق هذا العقد، من جانب الإدارة، وبين حرية الاعتقاد، إلا محاولة لخلط المفاهيم، وتفسير لا يعكس من الحقيقة إلا ما يراه محققا لمصلحته بصرف النظر عن مدى اتفاق ذلك أو تعارضه مع قواعد الشريعة الإسلامية، والحقائق الموضوعية التي تحكم حركة المجتمع، وترابط نسيجه في ضوء قواعد تحافظ على كيان الإسلام الذي يعد الهوية الحقيقية للمجتمع بصرف النظر عن بعض العبارات التي يطلقها البعض للنيل منه.

ومن حيث إن ما ذهب إليه الطاعن كذلك من أن القرار المطعون فيه، يؤدي إلي الإخلال بحق المواطنة، ويسهم في اعتبار الأقباط مواطنين من الدرجة الثانية، إلا أن ذلك القول يجافي الحقيقية، إذ أن كل شخص يتمتع بكل الحقوق العامة التي كفلها الدستور والقانون، وعليه أيضا التحمل بالواجبات العامة، الملقاة على عاتقه، فإذا كان القانون قد حدد شروطاً موضوعية لتطبيقها على الجميع، فعليه أن يحمل نفسه عليها، فإذا توافرت الشروط

في جانبه فيكون حرمانه من التمتع بهذا الحق علي أساس أنه مسيحي الديانة قد أهدر حق المواطنين في المساواة على أساس المواطنة دون اعتبار لأي دين يعتقده الإنسان، ولما كان الدستور قد اعتبر الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع فإنه يتعين الرجوع إليها فيما يخص الأحوال الشخصية للمسلمين، كما يتم الرجوع إلى الشريعة المسيحية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية الخاصة بهم، ولما كانت الشريعة الإسلامية قد حظرت على نحو قاطع زواج المسلمة من غير المسلم، وذلك وفقا للثابت من الكتاب والسنة بالإجماع، وبالتالي فإنه يتعين عليه مراعاة هذه القواعد، فإذا ما التزمتها جهة الإدارة في قراراتها فإنها تكون قد التزمت صحيح حكم القانون، فإذا ما انتهى الحكم المطعون فيه إلى النتيجة ذاتها فإنه يكون، قد استقي النتيجة من أصول تؤدي إليها، ومن ثم يكون النعي عليه بمخالفة القانون والخطأ في تطبيقه وتأويله، والقصور في التسبيب والفساد في الاستدلال، ما هي إلا حجاج واهية لا تنال من الحكم المطعون.
ومن حيث المصروفات فيلزم بها من خسر طعنه عملا

بنص المادة ١٨٤من قانون المرافعات.

نري الحكم:
بقبول الطعن شكلا، ورفضه موضوعا، مع إلزام الطاعن المصروفات.

*(٧) صورة ضوئية من منطوق حكم محكمة القضاء الإداري.

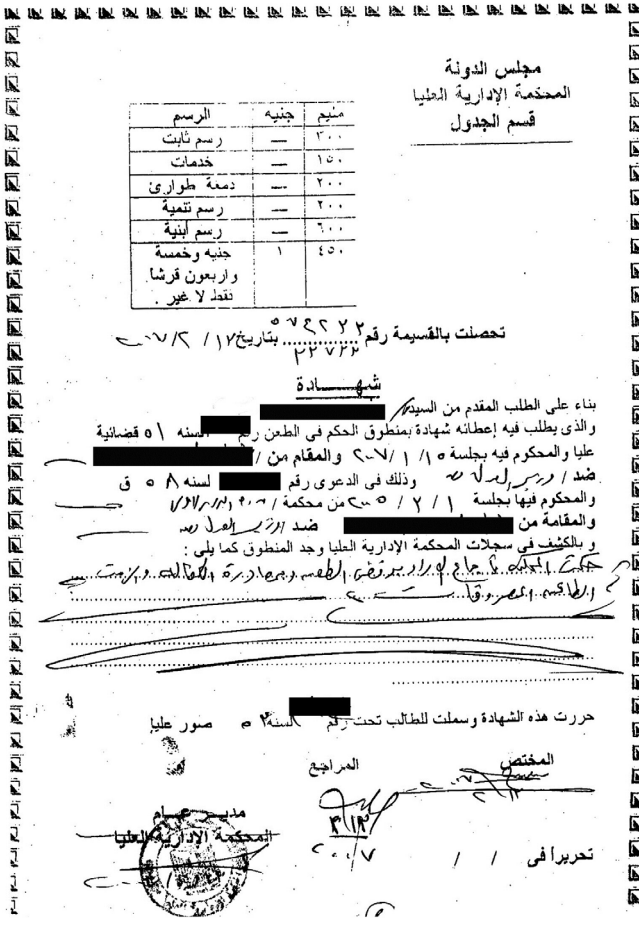

مجلس الدولة
المحكمة الإدارية العليا
قسم الجدول

الرسم	جنيه	مليم
رسم ثابت	—	٣٠٠
خدمات	—	١٥٠
دمغة طوارئ	—	٢٠٠
رسم تنمية	—	٢٠٠
رسم أبنية	—	٦٠٠
جنيه وخمسة واربعون قرشا نقدا لا غير .	١	٤٥٠

تحصلت بالقسيمة رقم ٢٢٤٢٥ بتاريخ ١٢/ ٧/ ٢٠٠٧

شهـــادة

بناء على الطلب المقدم من السيد [redacted]
والذى يطلب فيه إعطائه شهادة بمنطوق الحكم فى الطعن رقم [redacted] لسنه ٥١ قضائية
عليا والمحكوم فيه بجلسة ١٥/ ١/ ٢٠٠٧ والمقام من / [redacted]
ضد / وزير العدل
وذلك فى الدعوى رقم [redacted] لسنه ٥٨ ق
والمحكوم فيها بجلسة ١/ ٢/ ٢٠٠٥ من محكمة / القضاء الإداري
والمقامة من [redacted] ضد وزير العدل
وبالكشف فى سجلات المحكمة الإدارية العليا وجد المنطوق كما يلى :
حكمت المحكمة بقبول الطعن شكلا وبرفض الطعن وبمصادرة الكفالة وبمصروفات الطعن

حررت هذه الشهادة وسلمت للطالب تحت رقم [redacted] لسنة ٥٢ صور عليا

المختص
المراجع
مدير عام
المحكمة الإدارية العليا
تحريرا فى / /

***(٨) استفتاء تعديل الدستور المصري ٢٠٠٧**

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

تم هذا الاستفتاء على دستور ١٩٧١ في مصر في يوم ٢٦ مارس ٢٠٠٧. وقد تضمن هذا الاستفتاء تعديل ٣٤ مادة في الدستور، وتمت الموافقة عليه بنسبة ٧٥,٩٪ من الشعب.

في ديسمبر عام ٢٠٠٦ بعث الرئيس السابق حسني مبارك برسالة للبرلمان المصري طلب فيها تعديل ٣٤ مادة من مواد الدستور، وهو ما يقترب من سدس النصوص الدستورية التي يحتويها دستور ١٩٧١. وافق مجلس الشورى في ١٣ مارس ٢٠٠٧، ومجلس الشعب في ١٩ مارس ٢٠٠٧ بالأغلبية على التعديلات الدستورية المطروحة. وفي ٢٦ مارس ٢٠٠٧، أُجرى الاستفتاء على هذه التعديلات للمواد الـ ٣٤، ووافق عليها الشعب بنسبة بلغت ٧٥,٩٪.

أبرز ما تضمنته هذه التعديلات تمثل في الآتي:

- إلغاء كل ما يخص الاشتراكية والسلوك الاشتراكى وتحالف قوى الشعب العاملة، وما شابه ذلك.

- النص على مبدأ المواطنة واعتبارها الأساس الذي يقوم عليه نظام الحكم (المادة ١).

- حظر أى نشاط سياسى أو قيام الأحزاب على أساس الدين أو الجنس أو الأصل (المادة ٥).

- إنشاء لجنة عليا مستقلة للإشراف على الانتخابات تكون لها صلاحيات مطلقة (المادة ٨٨).

- إحلال مادة مكافحة الإرهاب محل مادة المدعى العام الاشتراكى (المادة ١٧٩).

- التخفيف (غير المؤثر) من شروط مشاركة الأحزاب السياسية في الانتخابات الرئاسية (المادة ٧٦).

- تقنين حماية البيئة واعتبارها واجب وطني (المادة ٥٩).

المواد المعدلة هي: المادة ١ - المادة ٤ - المادة ٥ - المادة ١٢ - المادة ٢٤ - المادة ٣٠ – المادة ٣٣ - المادة ٣٧ - المادة ٥٦ - المادة ٥٩ - المادة ٦٢ - المادة ٧٣ - المادة ٧٤ - المادة ٧٦ - المادة ٧٨ - المادة ٨٢ - المادة ٨٤ - المادة ٨٥ - المادة ٨٨ - المادة ٩٤ - المادة ١١٥ - المادة ١١٨- المادة ١٢٧- المادة ١٣٣- مادة ١٣٦- مادة ١٣٨- المادة ١٤١- المادة ١٦١ - المادة ١٧٣- المادة ١٧٩ - المادة ١٨٠- المادة ١٩٤ - المادة ١٩٥- المادة ٢٠٥.

***(٩)عن نص وثيقة عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل نجران النصارى و سائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض.**

الدكتور محمد عمارة في كتابه «الإسلام و الآخر»

جاء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران و عموم المتدينين بالنصرانية:

"... لنجران و حاشيتها و سائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض جوار الله و ذمة محمد رسول الله على أموالهم و أنفسهم و ملتهم و غائبهم و شاهدهم و عشيرتهم و بيعهم و كل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ..

أن احمى جانبهم و أذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواضع السياح.. وأن احرس دينهم و ملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي و خاصتي وأهل الإسلام من ملتي ..

لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين و عليهم ما على المسلمين و على المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام و الذب عن الحرمة و استوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم و فيما عليهم لا يغير أسقف من أسقفيته و لا راهب من رهبانيته و لا كاهن من كهانته و لا يغير حق من حقوقهم و لا سلطانهم و لا شيء مما كانوا عليه...

و لا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر .. و لا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد و لا منازل المسلمين..

ولا يحملوا من النكاح شططا لا يريدونه و لا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين و لا يضاروا في ذلك إن منعوا خاطبا و أبوا تزويجا لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم و مسامحة أهوائهم إن أحبوه و رضوا به.

و إذا صارت النصرانية عند المسلم فعليه أن يرضى بنصرانيتها و يتبع هواها في الإقتداء برؤسائها و الأخذ بمعالم دينها و لا يمنعها ذلك فمن خالف ذلك و اكرهها على شيء من أمر دينها فقد خالف عهد الله و عصى ميثاق رسوله و هو عند الله من الكاذبين.
و لهم – إن احتاجوا إلى مرمة بيعهم وصوامعهم أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم- إلى رفد (دعم) من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها أن يرفدوا
(يقدموا الدعم) على ذلك ويعاونوا ولا يكون ذلك دينا عليهم بل تقوية لهم على مصلحة دينهم ووفاء بعهد رسول الله لهم ومنة لله ورسوله عليهم ...
و لا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام:
(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) {العنكبوت:٤٦}
ويخفض لهم جناح الرحمة ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا في البلاد ....
يقول الكاتب: تلك هي صورة مكانة «الآخر النصراني» في الدولة الإسلامية الأولى كما حددتها ورسمت معالمها معاهدات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النصارى. «من أهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض» ..
لقد قرر لهم الإسلام ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم .. فجعل هذا « الآخر» جزءا من «الذات» ذات الأمة الواحدة والرعية المتحدة في حقوق وواجبات المواطنة مع حرية التعدد والاختلاف في الدين دون تمييز أو إكراه.

***(٠١) ما أثارته فتوى الترابي**

موقع العربية. الاثنين ٢٢ مايو ٢٠٠٦م، ٤٢ ربيع الثاني ٧٢٤١ هـ

في أول سابقة بعد الفتوى وانقسامات بين ذوي العروس

سودانية مسلمة تتزوج من مسيحي استنادا لفتوى الشيخ الترابي

تزوجت فتاة سودانية مسلمة من رجل مسيحي، وتمت مراسم الزواج آخر الأسبوع الماضي بين الكنيسة وديار أهل العروس، وذلك في أول رد فعل لفتوى الدكتور حسن عبد الله الترابي، الأمين العام لحزب المؤتمر الشعبي السوداني المعارض، بجواز زواج المرأة المسلمة من رجل مسيحي.

وجرت مراسم زواج الفتاة السودانية من الرجل الإثيوبي الجنسية على مدى ساعات بين إحدى كنائس مدينة القضارف ثالث أكبر مدينة في شرق السودان على الحدود مع إثيوبيا، ومنزل ذوي الفتاة، وذلك وفقا لصحيفتي الشرق الأوسط والقدس العربي الصادرتين في لندن الإثنين ٢٢-٥-٢٠٠٦ .

ونقل شهود عيان عن الفتاة قولها "إنها سعيدة بزواجها من عريسها المسيحي ومقتنعة بالفكرة وأنها تستند إلى فتوى الدكتور الترابي في هذا الخصوص".

ولكن شهود عيان ذكروا أن ذوي الفتاة منقسمون حول الخطوة التي أقدمت عليها العروس، فهناك من أيد وهناك من عارض.

ولكن إحدى صحف الخرطوم نقلت عن أحد الشيوخ تحريمه زواج السودانية المسلمة من المسيحي، وقال الدكتور عبد الفتاح إدريس أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر إن " زواج المسلمة من الكتابي حرام بنصوص الشرع،

واستدل بقوله تعالى «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حتى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حتى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ".

وأضاف أنه «لا يحل لمسلمة أن تتزوج من كتابي، وقد قال الله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ».

كان الدكتور الترابي قد افتى مؤخرا بأنه يحق للمسلمة الزواج بمسيحي أو يهودي، معتبرا أن النصارى واليهود هم من "أهل الكتاب» وليسوا بالتالي كفرة.

ودعا إلى مساواة المرأة في الميراث مع الرجل والاختلاط بين النساء والرجال أثناء الصلاة مع إبقاء مسافة بينهم.

قال الترابي إنه «يمكن للمرأة أن تكون حاكمة ... أو رئيسة جمهورية»، واصفا أفكار بعض علماء الدين بأنها «بائدة وجامدة ومتحجرة».

•••

رأى ٤٧,٠٥٪ من زوار موقع «العربية.نت» أن آراء الزعيم الإسلامي السوداني الدكتور حسن الترابي حول إباحة زواج المسلمة من كتابي، مقبولة ويمكن العمل بها.

وقال ٢,٠٤٪ من جملة ١٥٢٦٦ شاركوا في التصويت، إنها تصلح للأقليات الإسلامية فقط.

ويبدو أن الآراء الفقهية «الجديدة» والمثيرة للجدل، التي أطلقها الترابي والمفكر الإسلامي المصري جمال البنا، حول عدد من القضايا، بشأن إمامة المرأة، وجواز اقترانها بمسيحي أو يهودي، باتت تجد قبولا أكبر داخل المجتمعات الإسلامية، على الرغم من المعارضة الشديدة التي تجدها من قبل آخرين.

وتباينت ردات الفعل داخل وخارج السودان حول الآراء الفقهية المثيرة للجدل التي كان قد أطلقها لدى مشاركته في ندوة سياسية في مقر حزب الأمة (الإصلاح والتجديد) الذي يقوده مبارك الفاضل في أم درمان.

ويرى منتقدو الترابي أن فتاواه لا تخلو من «أغراض سياسية» داخلية وخارجية، فيما يعتبرها أنصاره مواقف جريئة، ينبغي لمن يريد نقدها أن يتسلح بالقدرة على الحوار. وزاد بعضهم بالقول إن الآخرين ليست لهم القدرة على مواجهة هذه الآراء بنصوص دينية

تخالفها. وبلغت الآراء المنتقدة لفتاواه حد تكفيره، بحسب تقرير نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية الثلاثاء ١٨-٤-٢٠٠٦.

واتهمه آخرون بالسعى إلى تسويق نفسه للغرب في وجه جديد يبعد عنه تهمة «الشيخ الإرهابي»، عوضا عن الزندقة، وأنه يسعى لمحاكمة النصوص بصورة لا تمت إلى الاجتهاد بصلة.

أما الترابي، فبعد أن أطلق آراءه حول إمامة المرأة وزواجها من مسيحي أو يهودي، وأن شهادتها تعادل شهادة الرجل، اكتفى بالقول بأن مَن يرى خلاف ما أفتى به، عليه أن يأتي بالحديث والسنة قبل أن يطلق الاتهامات التي لا تمت إلى الاجتهاد في شيء.

ووصف من يحرم ذلك بأنه مجرد «أقاويل وتخرصات وأوهام وتضليل»، الهدف منها جر المرأة إلى الوراء، وقال إن «التخرصات والأباطيل التي تمنع زواج المرأة المسلمة من الكتابي، لا أساس لها من الدين، ولا تقوم على ساق من الشرع الحنيف».

وأضاف «وما تلك إلا مجرد أوهام وتضليل وتجهيل وإغلاق وتحنيط وخدع للعقول، الإسلام منها براءٌ».

***(١١) فتوى القرضاوي في بقاء الزوجة التي دخلت الإسلام على ذمة زوجها الكتابي.**

إسلام أونلاين

نص فتواه كالتالي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على إمامنا وحبيبنا وأسوتنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه (أما بعد)..

فقد كنت لسنوات طويلة أفتي بما يفتي به العلماء الذين ذكرهم السائل في سؤاله. وهو أن المرأة إذا أسلمت يجب أن تفارق زوجها في الحال أو بعد انتهاء عدتها، لأن الإسلام فرق بينهما، ولا بقاء لمسلمة في عصمة كافر.

وكما لا يجوز لها أن تتزوج غير المسلم ابتداء، فكذلك لا يجوز لها الاستمرار معه بقاء.

هذا هو الرأي السائد والمشهور والمتعالم عند الناس عامة، والعلماء خاصة.

وأذكر منذ نحو ربع قرن: كنا في أمريكا، وفي مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين هناك، وعُرضت قضية من هذا النوع، وكان الدكتور حسن الترابي حاضرا، فلم ير بأسا بأن تبقى المرأة إذا أسلمت مع زوجها الذي لم يسلم، وثارت عليه الثائرة، ورد عليه عدد من الحاضرين من علماء الشريعة، وكنت منهم، وقد اعتمد الرادون عليه: أنه خرج على الإجماع المقطوع به، المتصل بعمل الأمة.

ثم إن المسلم يظل بطلب العلم من المهد إلى اللحد، وليس هناك أحد أحاط بالعلم كله. وقد قال الله لرسوله: «وقل رب زدني علما» (طه:١١٤)،

وقال تعالى: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» (الإسراء: ٨٥).

ولا غرو أن اطلعت على ما ذكره الإمام ابن القيم في هذه المسألة المهمة، وذلك في كتابه (أحكام أهل الذمة)، فقد ذكر ـ رحمه الله ـ فيها تسعة أقوال، لأئمة وعلماء معتبرين، ذكرها كلها، واختار سادسها، وهو اختيار شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا. ثمة تسعة أقوال ذكرها ابن القيم في المسألة ذكر العلامة ابن القيم المسألة ثم قال: اختلف السلف والخلف في ذلك اختلافا كثيرا.

القول الأول: انفساخ النكاح بمجرد إسلامها:

قالت طائفة: متى أسلمت المرأة انفسخ نكاحها منه، سواء كانت كتابية أو غير كتابية، وسواء أسلم بعدها بطرفة عين أو أكثر. ولا سبيل له عليها إلا بأن يسلما معا في آن واحد؛ فإن أسلم هو قبلها انفسخ نكاحها ساعة إسلامه ولو أسلمت بعده بطرفة عين. والكلام هنا هو عن الزوجة المشركة، كما كان حال أهل مكة وجزيرة العرب عند ظهور الإسلام. أما الزوجة الكتابية، فإن إسلام زوجها لا يضرها، إذ له أن يتزوجها ابتداء، فلا حرج في استمرارها معه بقاء.

هذا قول جماعة من التابعين وجماعة من أهل الظاهر، وحكاه أبو محمد بن حزم عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عباس وحماد بن زيد والحكم بن عيينة وسعيد بن جبير وعمر بن عبدالعزيز والحسن البصري وعدي بن عدي وقتادة والشعبي.

قال ابن القيم: قلت: وحكاية ذلك عن عمر بن الخطاب غلط عليه؛ أو يكون رواية عنه؛ فسنذكر من آثار عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلاف ذلك مما ذكره أبو محمد وغيره.

القول الثاني: الانفساخ إذا أبى الزوج الإسلام:

وقال أبو حنيفة: أيهما أسلم قبل الآخر، فإن كان في دار الإسلام عرض الإسلام على الذي لم يسلم، فإن أسلم بقيا على نكاحهما، وإن أبى فحينئذ تقع الفرقة. ولا تراعى العدة في ذلك.

القول الثالث: انفساخ النكاح عند انقضاء عدة المدخول بها:

وقال مالك: إن أسلمت المرأة ولم يسلم الرجل، فإن كان قبل الدخول وقعت الفرقة؛ وإن كان بعده، فإن أسلم في عدتها فهما على نكاحهما، وإن لم يسلم حتى انقضت عدتها فقد بانت منه؛ فإن أسلم هو ولم تسلم هي عُرِضَ عليها الإسلام، فإن أسلمت بقيا على نكاحهما وإن أبت انفسخ النكاح ساعة إبائها، سواء كان قبل الدخول أو بعده.

القول الرابع: عكس القول الثالث:

وقال ابن شبرمة عكس هذا، وأنها إن أسلمت قبله وقعت الفرقة في الحين، وإن أسلم قبلها فأسلمت في العدة فهي امرأته، وإلا وقعت الفرقة بانقضاء العدة.

القول الخامس: اعتبار العدة لكل من الرجل والمرأة:

وقال الأوزاعي والزهري والليث والإمام أحمد والشافعي وإسحاق: إذا سبق أحدهما بالإسلام فإن كان قبل الدخول انفسخ النكاح،وإن كان بعده فأسلم الآخر في العدة فهما على نكاحهما، وإن انقضت العدة قبل إسلامه انفسخ النكاح.

القول السادس: تنتظر المرأة وتتربص:

ولو مكثت سنين إن اختارت ذلك. وقال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني وقتادة، كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبدالله

بن يزيد الخطمي: أن نصرانيا أسلمت امرأته، فخيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن شاءت فارقته وإن شاءت أقامت عليه: (وعبد الله بن يزيد الخطمي هذا له صحبة). قال ابن القيم: وليس معناه أنها تقيم تحته وهو نصراني، بل تنتظر وتتربص، فمتى أسلم فهي امرأته، ولو مكثت سنين، وهو أصح المذاهب في هذه المسألة، وعليه تدل السنة كما سيأتي بيانه، وهو اختيار شيخ الإسلام (ابن تيمية).

القول السابع: هو أحق بها ما لم تخرج من مصرها:

وقال حماد بن سلمة عن قتادة عن سعيد بن المسيب: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال في الزوجين الكافرين يسلم أحدهما: هو أملك ببضعها ما دامت في دار هجرتها. وقال سفيان بن عيينة عن مطرف بن طريف عن الشعبي عن علي: هو أحق بها مالم تخرج من مصرها.

القول الثامن: هما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما سلطان:

وقال ابن أبي شيبة: ثنا معتمر بن سليمان عن معمر عن الزهري:

إن أسلمت ولم يسلم زوجها فهما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما سلطان.

القول التاسع: تقر عنده ويمنع من وطئها:

وقال داوود بن علي: إذا أسلمت زوجة الذمي ولم يسلم فإنها تَقَرُّ عنده، ولكن يُمنَعُ من وطئها. وقال شعبة: ثنا حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم النخعي في ذمية أسلمت تحت ذمي، فقال تقر عنده، وبه أفتى حماد بن أبي سليمان.

قلت: ومرادهم أن العصمة باقية، فتجب لها النفقة والسكنى، ولكن لا سبيل له إلى وطئها، كما يقوله الجمهور في أم ولد الذمي إذا أسلمت سواء.

تحقيق ابن القيم في المسألة:

قال ابن القيم: ونحن نذكر مآخذ هذه المذاهب وما في تلك المآخذ من قوي وضعيف وما هو الأولى بالصواب.

فأما أصحاب القول الأول ـ وهم الذين يوقعون الفرقة بمجرد الإسلام ـ فلا نعلم أحدا من الصحابة قال به ألبتة. وما حكاه أبو محمد بن حزم عن عمر وجابر وابن عباس فبحسب ما فهمه من آثار رويت عنهم مطلقة، ونحن نذكرها.

قال شعبة: أخبرني أبو إسحاق الشيباني قال: سمعت يزيد بن علقمة يقول: إن جده وجدته كانا نصرانيين، فأسلمت جدته، ففرق عمر بن الخطاب بينهما.

وليس في هذا دليل على تعجيل الفرقة مطلقا بنفس الإسلام، فلعله لم يكن دخل بها، أو لعله فرق بعد انقضاء العدة، أو لعلها اختارت الفسخ دون انتظار إسلامه، أو لعل هذا مذهب من يرى أن النكاح باق حتى يفسخ السلطان.

وقد روي عن عمر في هذا آثار يظن أنها متعارضة، ولا تعارض بينها، بل هي موافقة للسنة، فمنها هذا، ومنها ما تقدم حكايته عنه أنه خير المرأة، إن شاءت أقامت عليه، وإن شاءت فارقته. ومنها ما رواه ابن أبي شيبة عن عباد بن العوام عن أبي إسحاق الشيباني عن يزيد بن علقمة أن عبادة بن النعمان التغلبي، كان ناكحا امرأة من بني تميم، فأسلمت، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إما أن تسلم وإما أن ننزعها منك؛ فأبى فنـزعها عمر رضي الله عنه، وقد تمسك بها من يرى عرض الإسلام على الثاني،

فإن أبي فرق بينهما.

(وهو القول الثاني: قول أبي حنيفة).

قال ابن القيم: وهذه الآثار عن أمير المؤمنين لا تعارض بينها، فإن النكاح بالإسلام يصير جائزا بعد أن كان لازما، فيجوز للإمام أن يعجل الفرقة، ويجوز له أن يعرض الإسلام على الثاني، ويجوز إبقاؤه إلى انقضاء العدة، ويجوز للمرأة التربص به إلى أن يسلم ولو مكثت سنين. كل هذا جائز لا محذور فيه، والنكاح له ثلاثة أحوال:

حال لزوم، وحال تحريم وفسخ ليس إلا، كمن أسلم وتحته من لا يجوز ابتداء العقد عليها، وحال جواز ووقف، وهي مرتبة بين المرتبتين لا يحكم فيها بلزوم النكاح ولا بانقطاعه بالكلية. وفي هذه الحال تكون الزوجة بائنة من وجه دون وجه. ولما قدم أبو العاص بن الربيع المدينة في زمن الهدنة، وهو مشرك، سألت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل ينـزل في دارها؟ فقال: «إنه زوجك، ولكن لا يصل إليك».

فالنكاح في هذه المدة لا يحكم ببطلانه، ولا بلزومه وبقائه من كل وجه، ولهذا خير أمير المؤمنين المرأة تارة، وفرق تارة، وعرض الإسلام على الثاني تارة، فلما أبى فرق بينهما. ولم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجل وامرأته أسلم أحدهما قبل الآخر أصلا، ولا في موضع واحد.

قال مالك: قال ابن شهاب: كان بين إسلام صفوان بن أمية وامرأته بنت الوليد بن المغيرة نحو من شهر، أسلمت يوم الفتح وبقي صفوان حتى شهد «حنينا» و «الطائف»وهو كافر، ثم أسلم، فلم يفرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما، واستقرت عنده امرأته بذلك النكاح.

قال ابن عبد البر: وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده.

وقال الزهري: أسلمت أم حكيم يوم الفتح، وهرب زوجها عكرمة حتى أتى اليمن فارتحلت حتى قدمت عليه اليمن، فدعته إلى الإسلام فأسلم، وقدم فبايع النبي صلى الله عليه وسلم، فثبتا على نكاحهما.

وقال ابن شبرمة: كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم الرجل قبل المرأة، والمرأة قبل الرجل، فأيهما أسلم قبل انقضاء عدة المرأة فهي امرأته، فإن أسلم بعد العدة فلا نكاح بينهما.

وأسلم أبو سفيان عام الفتح قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة، ولم تسلم امرأته هند حتى فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، فثبتا على نكاحهما.

وخرج أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية فلقيا النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح «بالأبواء» فأسلما قبل نسائهما.

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رد زينب ابنته على أبي العاص (زوجها الذي تأخر إسلامه) بالنكاح الأول بعد ست سنين.

قال أبو داوود حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن داوود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد زينب على أبي العاص بالنكاح الأول، لم يحدث شيئا. وفي لفظ له: بعد ست سنين. وفي لفظ: بعد سنتين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا هو الثابت عند أهل العلم بالحديث؛ والذي روى أنه جدد النكاح ضعيف».

قال: وكذلك كانت المرأة تسلم، ثم يسلم زوجها بعدها، والنكاح بحاله، مثل أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، فإنها أسلمت قبل العباس بمدة.

قال عبد الله بن عباس:كنت أنا وأمي ممن عذر الله بقوله: «إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان» (النساء: ٩٨).

ولما فتح النبي مكة أسلم نساء الطلقاء، وتأخر إسلام جماعة منهم، مثل صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما الشهرين والثلاثة وأكثر، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فرقا بين ما قبل انقضاء العدة وما بعدها، وقد أفتي علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنها ترد إليه وإن طال الزمان.

وعكرمة بن أبي جهل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه من حصار الطائف وقسم غنائم حنين في ذي القعدة، وكان فتح مكة في رمضان، فهذا نحو ثلاثة أشهر يمكن انقضاء العدة فيها وفيما دونها، فأبقاه على نكاحه ولم يسأل امرأته: هل انقضت عدتك أم لا؟ ولا سأل عن ذلك امرأة واحدة، مع أن كثيرا منهن أسلم بعد مدة يجوز انقضاء العدة فيها، وصفوان بن أمية شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم «حنينا» وهو مشرك، وشهد معه «الطائف» كذلك إلى أن قسم غنائم «حنين» بعد الفتح بقريب من شهرين، فإن مكة فتحت لعشر بقين من رمضان، وغنائم (حنين) قسمت في ذي القعدة، ويجوز انقضاء العدة في مثل هذه المدة.

قال: وبالجملة، فتحديد رد المرأة على زوجها بانقضاء العدة لو كان هو شرعه الذي جاء به، لكان هذا مما يجب بيانه للناس من قبل ذلك الوقت، فإنهم أحوج ما كانوا إلى بيانه، وهذا كله ـ مع حديث زينب ـ يدل على أن المرأة إذا أسلمت وامتنع زوجها من الإسلام، فلها أن تتربص وتنتظر إسلامه، فإذا اختارت أن تقيم

منتظرة لإسلامه، فإذا أسلم أقامت معه، فلها ذلك، كما كان النساء يفعلن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كزينب ابنته وغيرها، ولكن لا تمكنه من وطئها، ولا حكم له عليها ولا نفقة ولا قسم؛ والأمـر في ذلك إليها لا إليه، فليس هو في هذه الحال زوجا مالكا لعصمتها من كل وجه، ولا يحتاج إذا أسلم إلى ابتداء عقد يحتاج فيه إلى ولي وشهود ومهر وعقد، بل إسلامه بمنـزلة قبوله للنكاح، وانتظارها بمنزلة الإيجاب.

وسر المسألة أن العقد في هذه المدة جائز لا لازم؛ ولا محذور في ذلك، ولا ضرر على الزوجة فيه، ولا يناقض ذلك شيئا من قواعد الشرع. وأما الرجل إذا أسلم، وامتنعت المشركة أن تسلم، فإمساكه لها يضر بها، ولا مصلحة لها فيه، فإنه إذا لم يقم لها بما تستحقه كان ظالما. فلهذا قال تعالى «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» فنهى الرجال أن يستديموا نكاح الكافرة، فإذا أسلم الرجل أمرت امرأته بالإسلام، فإن لم تسلم فرق بينهما.

من أدلة المعجلين للفرقة:

ومما ذكره العلامة ابن القيم من أدلة للقائلين بتعجيل الفرقة إذا أسلمت المرأة قبل زوجها، أنهم قالوا: قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وآتوهم ما أنفقوا، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بعصم الكوافر، واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم» الممتحنة:١٠.

قالوا: فهذا حكم الله الذي لا يحل لأحد أن يخرج عنه، وقد حرم فيه رجوع المؤمنة إلى الكافر، وصرح سبحانه بإباحة نكاحها؛ ولو كانت في عصمة الزوج حتى يسلم في العدة أو بعدها لم يجز

نكاحها، لا سيما والمهاجرة تستبرأ بحيضة. وهذا صريح في انقطاع العصمة بالهجرة. وقوله «ولا تمسكوا بعصم الكوفر» صريح في أن المسلم مأمور ألا يمسك عصمة امرأة إذا لم تسلم، فصح أن ساعة وقوع الإسلام منه تنقطع عصمة الكافرة منه.

وقوله تعالى: «لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن» صريح في تحريم أحدهما على الآخر في كل وقت. فهذه أربعة أدلة من الآية؛ ودعونا من تلك المنقطعات والمراسيل والآثار المختلفة، ففي كتاب الله الشفاء والعصمة.

رد الآخرين عليهم:

قال الآخرون: مرحبا وأهلا وسهلا بكتاب الله، وسمعا وطاعة لقول ربنا، ولكن تأولتم الآية على غير تأويلها، ووضعتموها على غير مواضعها، وليس فيها ما يقتضي تعجيل الفرقة إذا سبق أحدهما الآخر، ولا فهم هذا منها أحد قط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من التابعين، ولا يدل على ما ذهبتم إليه أصلا. أما قوله تعالى: «فلا ترجعوهن إلى الكفار» فإنما يدل على النهي عن رد النساء المهاجرات إلى الله ورسوله إلى الكفار، فأين في هذا ما يقتضي أنها لا تنتظر زوجها حتى يصير مسلما مهاجرا إلى الله ورسوله، ثم ترد إليه؟ ولقد أبعد النجعة كل الإبعاد من فهم هذا من الآية.

وكذلك قوله: «لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن» إنما فيه إثبات التحريم بين المسلمين والكفار، وأن أحدهما لا يحل للآخر، وليس فيه أن أحدهما لا يتربص بصاحبه الإسلام فيحل له إذا أسلما. وأما قوله: «ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن»، فهذا خطاب للمسلمين ورفع للحرج عنهم أن ينكحوا المؤمنات المهاجرات إذا بِنّ من أزواجهن وتخلين عنهم.

وهذا إنما يكون بعد انقضاء عدة المرأة واختيارها لنفسها. ولا ريب أن المرأة إذا انقضت عدتها تخيّر بين أن تتـزوج من شاءت وبين أن تقيم حتى يسلم زوجها، فترجع إليه إما بالعقد الأول على ما نصرناه، وإما بعقد جديد على قول من يرى انفساخ النكاح بمجرد انقضاء العدة. فلو أنا قلنا: إن المرأة تبقى محبوسة على الزوج، لا تمكّنها أن تتزوج بعد انقضاء العدة، شاءت أم أبت، لكان في الآية حجة علينا، ونحن لم نقل ذلك ولا غيرنا من أهل الإسلام، بل هي أحقّ بنفسها إن شاءت تزوجت وإن شاءت تربصت.

فأما قوله تعالى: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر»، فإنما تضمّن النهي عن استدامة نكاح المشركة والتمسك بها، وهي مقيمة على شركها وكفرها، وليس فيه النهي عن الانتظار بها أن تسلم ثم يمسك بعصمتها.

فإن قيل: فهو في التربص ممسك بعصمتها، قلنا: ليس كذلك، بل هي متمكنة بعد انقضاء عدتها من مفارقته والتـزوج بغيره؛ ولو كانت العصمة بيده لما أمكنها ذلك.

وأيضا فالآية إنما دلت على أنّ الرجل إذا أسلم ولم تسلم المرأة، أنه لا يمسكها بل يفارقها، فإذا أسلمت بعده فله أن يمسك بعصمتها، وهو إنما أمسك بعصمة مسلمة لا كافرة.

وأيضا فإن تحريم النساء المشركات على المؤمنين لم يستفد بهذه الآية، بل كان ثابتا قبل ذلك بقوله:{ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن}البقرة:٢٢١

وإنما اقتضت هذه الآية حكمه سبحانه بين المؤمنين والكفار في النساء اللاتي يرتدِدْن إلى الكفار واللاتي يهاجرن إلى المسلمين، فإن الشرط كان قد وقع على أنّ من شاء أن يدخل في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في دين قريش وعهدهم دخل، فهاجر نسوة اخترن الإسلام وارتدّ نسوة

اخترن الشرك، فحكم الله أحسن حكم بين الفريقين في هذه الآية،

ونهى المسلمين فيها أن يمسكوا بعصمة المرأة التي اختارت الكفر والشرك، فإن ذلك منع لها من التـزوج بمن شاءت وهي في عصمة المسلم، والعهد اقتضى أنّ من جاء من المسلمين، رجالهم ونسائهم، إلى الكفار يقرّ على ذلك، ومن جاء من الكفار إلى المسلمين يردّ إليهم، فإذا جاءت امرأة كافرة إلى المسلمين زالت عصمة نكاحها، وأبيح للمسلمين أن يزوجوها، فإذا فاتت امرأة من المسلمين إلى الكفار فلو بقيت في عصمته ممسكا لها لكان في ذلك ضرر بها إن لم يمكنها أن تزوَّج، وضرر به إن أمكنها أن تتـزوج وهي في عصمته، فاقتضى حكمه العدل الذي لا أحسن منه تعجيل التفريق بينه وبين المرأة المرتدة أو الكافرة عندهم لتتمكن من التزويج، كما تتمكن المسلمة من التزويج إذا هاجرت،

فهذا مقتضى الآية، وهي لا تقتضي أنّ المرأة إذا أسلمت وقعت الفرقة بمجرد إسلامها بينها وبين زوجها، فلو أسلم بعد ذلك لم يكن له عليها سبيل، فينبغي أن تعطى النصوص حقها، والسنة حقها، فلا تعارض بين هذه الآية وبين ما جاءت به السنة بوجه ما، والكل من مشكاة واحدة، يصدق بعضها بعضا.

قال شيخ الإسلام: «وأما القول بأنه بمجرد إسلام أحد الزوجين المشركين تحصل الفرقة قبل الدخول أو بعده، فهذا قول في غاية الضعف، فإنه خلاف المعلوم المتواتر من شريعة الإسلام، فإنه قد علم أن المسلمين الذين دخلوا في الإسلام كان يسبق بعضهم بعضا بالتكلم بالشهادتين، فتارة يسلم الرجل وتبقى المرأة مدة ثم تسلم، كما أسلم كثير من نساء قريش وغيرهم قبل الرجال.

وروي أن أم سليم امرأة أبي طلحة أسلمت قبل أبي طلحة؛ وتارة يسلم الرجل قبل المرأة ثم تسلم بعده بمدة قريبة أو بعيدة؛ وليس لقائل أن يقول: هذا كان قبل تحريم نكاح المشركين،

لوجهين أحدهما أنه لو قدّر تقدّم ذلك فدعوى المدّعي أنّ هذا منسوخ تحتاج إلى دليل؛ الوجه الثاني أن يقال:لقد أسلم الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بعد نـزول تحريم المشركات، ونـزول النهي عن التمسك بعصم الكوافر، فأسلم الطلقاء بمكة وهم خلق كثير،وأسلم أهل الطائف وهم أهل مدينة، وكان إسلامهم بعد أن حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصب عليهم المنجنيق ولم يفتحها، ثم قسم غنائم حنين بالجعرانة، واعتمر عمرة الجعرانة ثم رجع بالمسلمين إلى المدينة، ثم وفد وفد الطائف فأسلموا، ونساؤهم بالبلد لم يسلمن، ثم رجعوا وأسلم نساؤهم بعد ذلك.

فمن قال: إن إسلام أحد الزوجين قبل الآخر يوجب تعجيل الفرقة قبل الدخول أو بعده، فقوله مقطوع بخطئه ولم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أحدا ممن أسلم: هل دخلت بامرأتك أم لا؟ بل كل من أسلم وأسلمت امرأته بعده فهي امرأته من غير تجديد نكاح، وقد قدم عليه وفود العرب، وكانوا يسلمون ثم يرجعون إلى أهليهم، فيسلم نساؤهم على أيديهم بعد إسلام أزواجهنّ، وبعث عليا ومعاذا وأبا موسى إلى اليمن فأسلم على أيديهم من لا يحصيهم إلا الله من الرجال والنساء؛ ومعلوم قطعا أن الرجل كان يأتيهم فيسلم قبل امرأته، والمرأة تأتيهم فتسلم قبل الرجل، ولم يقولوا لأحد: ليكن تلفظك وتلفظ امرأتك بالإسلام في آن واحد، لئلا ينفسخ النكاح، ولم يفرقوا بين من دخل بامرأته وبين من لم يدخل، ولا حدُّوا ذلك بثلاثة قروء، ثم يقع الفسخ بعدها، بل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وقد باشر ذلك بنفسه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي غيبته عنه ـ قد قال: «هو أحق بها ما لم تخرج من مصرها»؛ وفي رواية عنه: « ما لم تخرج من دار هجرتها»،ولم يعجل الفرقة، ولا حدها بثلاثة قروء؛ وفي قضية زينب الشفاء والعصمة.

وكانت سنّته صلى الله عليه وسلم أنه يجمع بين الزوجين إذا أسلم أحدهما قبل الآخر وتراضيا ببقائهما على النكاح، لا يفرق بينهما ولا يحوجهما إلى عقد جديد؛ فإذا أسلمت المرأة أولا فلها أن تتربص بإسلام زوجها، أي وقت أسلم فهي امرأته، وإذا أسلم الرجل فليس له أن يحبس المرأة على نفسه ويمسك بعصمتها، فلا يكرهها على الإسلام ولا يحبسها على نفسه، فلا يظلمها في الدين ولا في النكاح، بل إن اختارت هي أن تتربص بإسلامه تربصت، طالت المدة أو قصرت؛ وإن اختارت أن تتـزوج غيره بعد انقضاء عدتها فلها ذلك، والعدة ههنا لحفظ ماء الزوج الأول، وأيهما أسلم في العدة أو بعدها فالنكاح بحاله، إلا أن يختار الرجل الطلاق فيطلق كما طلق عمر رضي الله عنه امرأتين له مشركتين لما أنزل الله تعالى:{ولا تمسكوا بعصم الكوافر}؛ أو تختار المرأة أن تزوّج بعد استبرائها، فلها ذلك.

وأيضا فإن في هذا تنفيرا عن الإسلام، فإن المرأة إذا علمت أو الزوج أنه بمجرد الإسلام يزول النكاح ويفارق من يحب، ولم يبق له عليها سبيل إلا برضاها ورضا وليّها ومهر جديد، نفر عن الدخول في الإسلام، بخلاف ما إذا علم كل منهما أنه متي أسلم فالنكاح بحاله، ولا فراق بينهما إلا أن يختار هو المفارقة، كان في ذلك من الترغيب في الإسلام ومحبته ما هو أدعى إلى الدخول فيه.

وأيضا فبقاء مجرد العقد جائزا غير لازم من غير تمكين من الوطء خير محض ومصلحة بلا مفسدة، فإن المفسدة إما بابتداء استيلاء الكافر على المسلمة، فهذا لا يجوز كابتداء نكاحه للمسلمة، وإن لم يكن فيه وطء، كما لا يجوز استيلاؤه بالاسترقاق؛ وإما بالوطء بعد إسلامها، وهذا لا يجوز أيضا فصار إبقاء النكاح جائزا فيه مصلحة راجحة للزوجين في الدين والدنيا من غير مفسدة، وما كان هكذا فإن الشريعة لا تاتي بتحريمه. انتهي.

تعقيب على تحقيق الإمام ابن القيم:

كان ما ذكره ابن القيم (فتحا) في المسألة، التي كنا نحسبها من مسائل الإجماع، بل نعتبره إجماعا نظريا من أئمة المذاهب الفقهية، مقترنا بالعمل المستمر من جانب الأمة الإسلامية، والإجماع إذا اقترن بالعمل ازداد قوة ورسوخا.

ثم تبين لي أن هذا الإجماع صحيح وثابت بالنظر إلى تزويج المسلمة بغير المسلم ابتداء، فهذا حرام مقطوع به، ولم يقل به فقيه قط، لا من المذاهب الأربعة، أو الثمانية، أو من خارج المذاهب، فهو إجماع نظري وعملي منا، وهو ثابت ومستقر بيقين.

أما الذي ذكر المحقق ابن القيم فيه الخلاف، فهو فيما إذا كانت المرأة غير المسلمة متزوجة أصلا من غير مسلم، وشرح الله صدرها للإسلام، فأسلمت، ولم يسلم زوجها، فهذه هي التي حدث فيها الخلاف، وذكر ابن القيم هذه الأقوال التسعة.

وهذا ما دفعني إلى أن أرجع إلى المصادر الأساسية التي استمد منها ابن القيم هذه الأقوال، وهي الأصول و المصنفات التي عنيت بنقل أقوال الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان، وتلاميذهم من سلف الأمة، في خير القرون، المفضلة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وهذه الأصول مثل مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) ومصنف ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) ومؤلفات أبي جعفر الطحاوي(٣٢١هـ) والسنن الكبرى للبيهقي (ت٤٥٦هـ).

روى ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن علي رضي الله عنه في شأن امرأة اليهودي أو النصراني إذا أسلمت، كان أحق ببضعها، لأن له عهدا.

وفي رواية أخرى عند ابن أبي شيبة عنه: هو أحق بها ما داما في دار الهجرة. يعني في دار هجرتها.

وروى عبد الرزاق بسنده عنه قال: هو أحق بها لم يخرجها من مصرها. وروى بسنده عن الحكم: أن هانئ بن قبيصة الشيباني ـ وكان نصرانيا ـ كان عنده أربع نسوة، فأسلمن، فكتب عمر بن الخطاب: أن يقررن عنده.

وهذا واضح في أن عمر رضي الله عنه يجيز للمرأة أن تقر عند زوجها.

وروى أيضا بسنده عن عبد الله بن يزيد الخطمي، أن عمر كتب: يخيرن.

وروى هذه القصة عبد الرزاق عن الخطمي قال: أسلمت امرأة من أهل الحيرة، ولم يسلم زوجها، فكتب فيها عمر بن الخطاب: أن خيروها، فإن شاءت فارقته، وإن شاءت قرت عنده. ومعناها:أنه وكل الأمر إلى اختيار المرأة، إن شاءت بقيت عند زوجها، وإن شاءت انفصلت عنه.

ومثله ما رواه ابن أبي شيبة بسنده عن الحسن: أن نصرانية أسلمت تحت نصراني، فأرادوا أن ينزعوها منه، فرجعوا إلى عمر فخيرها.

وروى ابن أبي شيبة بسنده أيضا عن إبراهيم (النخعي) قال: يقران على نكاحهما.

وروى عنه عبد الرزاق بسنده قال: هو أحق بها ما لم يخرجها من دار هجرتها.

وهذا هو نفس ما روي عن علي رضي الله عنه.

وروي عن الشعبي قال: هو أحق بها ماكانت في المصر (أي في مصرها).

فهذا قول علي رضي الله عنه لم يختلف عنه: أن الرجل الكتابي (من يهودي أو نصراني) أحق بزجته إذا أسلمت، ما لم يخرجها من مصرها، أو من دار هجرتها، وجاء في بعض الروايات: لأن له عهدا. يقصد: عهد الذمة.

وقول عمر رضي الله عنه في أكثر من رواية: أن المرأة تقر عند زوجها، أو تخير بين بقائها وبين تركه ومفارقته.

ولم يخالف ذلك إلا رواية عن عمر في قصة الرجل التغلبي الذي عرض عليه الإسلام، فأبى، وانتزع منه امرأته. وفي بعض الروايات: أنه قال لعمر: لم أَدَعْ هذا إلا استحياء من العرب أن يقولوا: إنما أسلم على بضع امرأة! ففرق عمر بينهما.

ولعل هذا من عمر رضي الله عنه يدلنا على أن الإمام أو القاضي لديه فسحة في مثل هذا الأمر، فيمكنه أن يقر المرأة عند زوجها أو يخيرها، أو يفرق بينهما إن رأى في ذلك المصلحة. وخصوصا إذا رفعت إليه القضية، كما في هذه الواقعة.

ولعل هذا من عمر أيضا يؤيد قول ابن شهاب الزهري: هما على نكاحهما، ما لم يفرق بينهما سلطان.

وقد أكد قول علي ما جاء عن الشعبي وإبراهيم، من أئمة التابعين.

وقفة ابن القيم:

ورغم أن المحقق ابن القيم رحمه الله وعد بأن ينظر في مآخذ هذه الأقوال أو المذاهب التسعة التي ذكرها وما فيها من قوي وضعيف، فإنه لم يف بوعده، ولم ينظر فيها كلها، بل ركز على القول السادس الذي نصره ـ ونصره شيخه شيخ الإسلام ابن

تيمية،وهي أن المرأة تقيم مع زوجها، وتنتظر إسلامه، ولا تمكنه من نفسها، ولو مكثت معه سنين، وأطال في تأييد هذا القول، ونسي الأقوال الثلاثة الأخرى.

واختيار ابن القيم وشيخه: له وزنه ووجهته وأدلته، ولكن تظل منه مشكلة عملية، وهي أن تبقى المرأة مع زوجها تنتظر إسلامه، ولو مكثت سنين، ولكن لا تمكنه من نفسها، فهل يصبر كل منهما على هذه الحالة، وخصوصا إذا كانا شابين؟

قول الإمام على رضي الله عنه:

وكنت أود أن يعرض العلامة ابن القيم لرأي الإمام علي كرم الله وجهه، الذي ذكره عنه، وهو قوله عن المرأة تسلم قبل زوجها: هو أملك ببضعها ما دامت في دار هجرتها.

وفي رواية أخرى: هو أحق بها ما لم تخرج من مصرها.

وعلي رضي الله عنه قد بعثه رسول الله إلى اليمن في حياته، وتولى الخلافة بعد عثمان، ولا بد أن يكون قد باشر ذلك بنفسه. فحكمه في هذه القضية، فيه معني الفتوى ومعني القضاء معا.

وكأني ألمح في حكمه رضي الله عنه استنادا إلى الآية الكريمة من سورة (الممتحنة) حيث قال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم، ولا هم يحلون لهن}[الممتحنة:١٠]

والمؤمنون مطالبون ـ وفق هذه الآية ـ إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وعلموا صدق إيمانهن: ألا يرجعوهن إلى الكفار، فيعرضوهن للفتنة في دينهن، ولكن إذا بقيت المرأة في دارها لم تغادرها إلى دار الإسلام، وأقامت مع زوجها، فهي امرأته. وكأن

هذا ما استند إليه علي كرم الله وجهه.

وفي رأيي أن هذا قول وجيه، ترجحه حاجة المسلمات الجديدات إلى بقائهن مع أزواجهن، ولا سيما إذا كن يرتجين إسلامهم، وخصوصا إذا كان لهن منهم أولاد يخشى تشتيتهم وضياعهم.

ومما نذكره هنا: أن القضية التي اعتمد عليها ابن القيم وشيخه ابن تيمية فيما روي عن عمر، ظاهرها ليس معهما، فما رواه عبد الله بن يزيد الحطمي رضي الله عنه: أن نصرانيا أسلمت امرأته، فخيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن شاءت فارقته، وإن شاءت أقامت عليه.

ظاهر هذه الرواية أنه أجاز لها أن تقيم عليه، وهذا يقتضي أن تجوز معاشرته لها، ولكن الإمام ابن القيم رحمه الله أوَّل هذا الظاهر، وقال: وليس معناه أنها تقيم تحته، وهو نصراني، بل تنتظر وتتربص.فلو أن مجتهدا أخذ بظاهر قول عمر، لم يكن عليه من حرج. ولعل هذا أصل ما ورد عن الزهري ـ وهو القول الثامن ـ أنه قال: إن أسلمت ولم يسلم زوجها، فهما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما سلطان.

وهذا تيسير عظيم للمسلمات الجدد، وإن كان يشق على الكثيرين، لأنه خلاف ما ألفوه وتوارثوه، ولكن من المقرر المعلوم: أنه يغتفر في البقاء، ما لا يغتفر في الابتداء. فنحن منهيون ابتداء أن نزوج المرأة لكافر،كما قال تعالى:{ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم} [البقرة:٢٢١].

وهذا مما لا يجوز التهاون فيه، فلا نزوج مسلمة ابتداء لغير مسلم.

ولكن نحن هنا لم نزوجها، بل وجدناها متزوجة قبل أن تدخل في ديننا، ويحكم عليها شرعنا، وهنا يختلف الأمر في البقاء عنه

في الابتداء.

فلدينا إذن قولان معتبران يمكن لأهل الفتوى الاستناد إليهما لعلاج هذه المشكلة التي قد تقف عقبة في سبيل دخول الكثيرات في الإسلام.

القول الأول: هو قول سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وهو: أن زوجها أحق بها ما لم تخرج من مصرها. وهنا نجد المرأة باقية في وطنها ومصرها ولم تهاجر منه، لا إلى دار الإسلام ولا غيرها.

والقول الثاني: هو قول الزهري: إنهما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما سلطان، أي ما لم يصدر حكم قضائي بالتفريق بينهما.

ويسند هذا القول ظاهر ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه خير زوجة النصراني حين أسلمت بين فراقه وإقامتها عليه.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه، آمين.

ملحوظة:

نشرت هذه الدراسة علي موقع إسلام أون لاين، وفي تصرف غريب من الموقع، تم حزفها بعد إسبوعين فقط.

الفصل الثالث والأخير
٢٠١١ - .....

قامت الثورة، والناس هللت ليها.

•••

في إيران الديمقراطية جابت الخوميني، والخوميني لما قاد الثورة الإسلامية، أعدم أكتر من ١٠ آلاف ضابط جيش وشرطة وشباب، والتهمة: كانوا أتباع النظام السابق، وواقع الأمر: من ليس معي فهو ضدي.

وفي غزة، الديمقراطية جابت حماس، كانوا بيرموا ظباط الأمن التابعين للسلطة، والمثقفين المعارضين لهواهم، من فوق أسطح المنازل، من غير حتى ما ينتظروا محاكماتهم.

وفي مصر، وباسم الديمقراطية، ومع الوقت، مش هيكون فيه لا شيخ أزهر، ولا مفتي ولا وزير للأوقاف، الحكومة كلها هتتكلم في الدين وباسم الدين، الحكومة كلها هتبقى مشايخ، ومش هترفضهم أمريكا، لأن دي الديمقراطية، وباسم الديمقراطية هتتعمل القوانين اللي هتكمم الأفواه، بما لا يخالف شرع الله، ومن يخالف رأي .. يخالف شرع الله!

فيه بحور دم كتير اتنزفت باسم الدين، مع أن جوهر الدين، أي دين، السلام والمحبة والعدل.

•••

الإسلام مش محتاج لدستور يحافظ عليه، الدستور في الأساس وثيقة بتتكتب للحفاظ على حقوق الأقليات، زي ما كتب رسول الله وثيقة "نجران"، حفاظاً على حقوق النصارى ،

ولطمأنتهم ، هو ماكتبش وثيقة في بلد كلها مسلمين، هو أقر وثيقة في بلد يوجد فيها أقليات.

•••

قضيتي، مش قضية واحد عايز يرتبط بـواحده بيحبها، قضيتي إني شايف مشكلة لو ماتحلتش، مجتمعنا كله هيتعرض لمشاكل أكبر وأعمق، مش هتكون علي شخص وحده أو فئة بعينها أو أقلية، المجتمع كله هيتعرض للانحلال، مش الانحلال الأخلاقي أو الخلقي، لكن الإنحلال الأصعب.. الإنحلال المجتمعي، الناتج الطبيعي لغياب العدل.

الظلم وتضييع الأمانة وإهدار الحقوق.. تأكيد على معالم الخراب والهزيمة، دا أصل مقرر في علم الاجتماع، ابن خلدون عمله فصل كامل في مقدمته، باسم " الظلم مؤذن بخراب العمران". ابن تيميه قال: "أن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة".

"وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون".صدق الله العظيم.

العدل.

•••

أنا مش بطل، أنا واحد عادي جداً، لو شفتني في الشارع في الغالب هتفتكرني صنايعي، صنايعي بس متعلم، لبسه قديم شويه.. بس نضيف، بيدخن سجاير بوكس، كيلوباترا بوكس، وجسمه على قده.

ربع البلد شبهي على الأقل.

•••

يمكن ما تكونش مريم أجمل واحدة في الكون، بس – بالنسبة لي- جمال الكون كله فيها. مريم زيها زي بقية البشر، كل البشر فيهم عيوب، لكن اللي بيخليها مختلفة عن كل البشر، أن أنا بحبها، بعيوبها ومميزاتها، بمشاكلها وبساطتها، بعينيها اللي لما بتضحك.. الدنيا كلها تضحك.

وهي بتحبني، وهي عارفة إني زي بقيت البشر، وفيا عيوب.

•••

بنختلف في الرأي أحياناً، ووالدي قال لي مرة إن مستوانا الاجتماعي كمان مختلف، ويمكن يكون عندها شوية اهتمامات مش عندي، وأنا عندي شوية اهتمامات مش عندها، بس احنا الاتنين بنبقى مبسوطين وإحنا مع بعض، وكل واحد فينا بيبقي مبسوط وهو بيشارك اهتمامات التاني، علشان بيحبه.

•••

أنا عمري ما عملت حاجة غلط مع مريم.

•••

فيه ناس كتير عايشة وعندها عيال..بس مش طايقة عيشتها. وفيه ناس كتير عايشة وهي مش عايشة، الحياة نستهم إنهم بني آدمين.

يمكن أكون مشيت مشوار طويل، بس أنا كنت عارف من الأول إنه طويل، وإن ممكن ما أكسبش القضية، وما أعرفش أتجوز مريم.

بس أنا حسمت قضيتي من زمان، لما قررت مـأخسرش آدميتي، طول مـ أنا عايش.

•••

طبعاً أنا كسبان.

بيصعب عليا الناس اللي بقابلها، وبتفتكر إن المكسب في الحياة فلوس ولا شهرة ولا سلطة. ما هو أنا مش عايش علشان أجيب فيلا، ما هو أنا ربنا ماخلقنيش عشان أحوش فلوس وبس، أنا وأنت عايشين عشان كل واحد فينا يقول كلمته قبل ما يمشي، الكلمة اللي هيتحاسب عليها قدام ربنا.

أنا كسبان نفسي، النفس.. أغلى حاجه في الكون، بس احنا اللي بننسى.

•••

...

بروح منطقتي كل فترة، مابشوفش مريم، وما أعرفش إن كانت اتجوزت ولا لأ، وما حاولتش أسأل.

بس بتجيني مكالمات كتيرة، من أرقام تليفونات في الشارع، حد بيسمع صوتي ويقفل.

...

هوامش الفصل التالت والأخير

«وَإِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ»

{آل عمران:٤٢}

الإهداء

إلي سيدي محمد بن عبد الله..
أدركني بشفاعتك يوم القيامة

الحُب في زمن الفتنة

- مقال / خارج النص -

١

بعد كل أزمة.

يحيا الصليب مع الهلال.

وكأن شيئاً لم يكن، وكأن كل صراعات السنوات الماضية..كذب، وكل ما وقع منها من ضحايا ما هو إلا.. محض إفتراء .

هكذا ..ببساطة، نأخذ جميعاً ..حقنة المخدر المعتادة لننسى.. حتى أدمنا تناولها، لتصبح المسألة ..مجرد « شوية ميه وقعوا من البلكونة اللى فوق على البلكونة اللى تحت ويبدو إن الميه كانت مش ولا بد يعنى « على طريقة السادات، وكالعادة يخرج المفسرون ليكشفوا لنا - بعد تحرياتهم الدقيقة - أن سر وقوع «شوية المية اللى مش ولابد» هو أصابع خفية ..خارجية، أرادت أن تنال من أمن واستقرار مصر، وتوتة ..توتة خلصت الحدوتة.

بينما المتأمل لحوادث الفتنة، يعرف ببساطة أن «الحدوتة» لا تنتهى، ويتأكد أن الفتنة تأكل وتشرب وتنام فى أحضاننا.

ولكي نكون واقعيين أكثر، لابد أن نتخلص في البداية من أكذوبة «الوحدة الوطنية».

ولنعترف أن وجود مسجد أمام كنيسة ..في أحيان كثيرة ليس مشهد عاطفي يعبر عن العلاقة القوية التي تربط بين ابناء الوطن الواحد، فكثيراً ما قد يعني.. «العند»، «أنت بنيت كنيسة كبيرة، طب أنا هـابني مسجد أكبر».

٢

فى العمق، هناك وجهان – طبقاً للتاريخ – للعلاقة بين المسلم والمسيحي في مصر، أحدهما يقوم على التعايش، والآخر يقوم على التوجس والشك والريبة.

الجانب الأول .. وأقول على التعايش، وليس على الرضا، فالفرق بين ما يؤمن به المسلم وما يؤمن به المسيحي، في النهاية.. هو فرق جوهرى خاص بالعقيدة، فى بلد بطبيعته متدين، الله يسكن أعصابه وأطرافه وعروقه ويسيطر على قلبه، مهما كثرة خطاياه ومعاصيه وتجاوزاته، فى هذا البلد.. يصبح التعايش هو سقف العلاقة تقريباً.

والتعايش –الذي أقصده- يعنى قبول الآخر.. ولا يعنى الرضا عنه، قبوله والتعايش معه واحترام وجوده فى إطار الحفاظ على شكل الحياة، والحرص على استمرارها بأمن وأمان، فى إطار احترام حرية الآخر وحرمت مسكنه وبيت عبادته وأهله وماله، بل والحفاظ والدفاع عنه، حفاظاً على الحياة ودفاعاً عن استمراريتها.

والجانب الثانى مبنى على الشك والريبة، منه المسلم يرى ..أن المسيحى – خاصة فى ظل النظام السابق- يمكن أن يكون سبباً في إهانته بشكوى منه، والواقع ملىء بمثل هذه القصص التى كان بطلها جهاز أمن الدولة، ويرى أيضاً أن الكنائس دولة ..داخل الدولة، لا يعرف أحد مابداخلها، لاتقبل التفتيش فى ظل شائعات بعضها يؤكد أن بها أسلحة وبها مسلمات، بل يصل تصور الريبة أحياناً إلى أن بها أسود، وبها وبها .. .

ومن المتداول ، - وكما جاء فى فيلم حسن ومرقص، فيما أتذكر على لسان أحد أبطاله- أن « المسيحيين مسيطريين على اقتصاد البلد، شفت حد مسيحي بيشحت قبل كده؟».

ويرى المسلم أيضاً – من باب الريبة- أن الكنيسة تُنصّر من تُنصّر، وتذهب بمن تنجح فى تنصيره إلى أوروبا، أو توفر حياة كريمة له فى مصر، فى الوقت الذى تنتفض فيه لدخول أحد أبنائها للإسلام، حيث الاعتصام هو أسرع الطرق التى تلجأ إليها، كما يوجد إختطاف ومطاردة وقتل ..طرق أخرى غير مشروعة تلجأ اليها أحياناً.

تتسع دائرة الشك، كلما طلت حادثة جديدة وضغطت على هذه الجروح، فتجعلها تدمي.

وهو ما رأيناه فى قضايا ..وفاء قسطنطين، وكاميليا شحاته، وعبير،و... .

أما المسيحى ففي الزاوية التي يقف عليها، يرى: أن الدولة متعصبة للمسلمين، تعامله على أنه مواطن من الدرجة الثانية، سلبت منه حق إقامة دور عبادته بسهولة ويسر، بجعلها لمثل هذا القرار فى يد رئيس الجمهورية شخصياً مرة، وزيادتها تعقيداً بتفويض المحافظين فى المسألة، الذين جاءوا أكثر تشدداً من الرئيس نفسه.

وقد رأى فى عدم وصوله لبعض المناصب المهمة فى الدولة – على عكس ماكان يحدث فى الماضى حيث نموذج مكرم عبيد- دليل على الاضطهاد المقصود.

وهو يخشى المادة الثانية من الدستور، يخشى أن تكون يوماً ما أداة – فى حال إخضاع تفسيرها لوجهات نظر متشددة – للتضييق عليه، في عودة الجزية، ومعاملته كغريب فى طنه.

ويزداد شعوره بالاضطهاد كلما أيقن، أن استخدامه للقوة فى النزاعات الطائفية لن يكون فى صالحه، فهو أقل عدداً، فتتزايد أزماته النفسية ويتزايد معها شعوره بالاحتقان.

وقد اتسعت دائرة الشك، فى فيديو السلفى الذى يهدد بحرق الكنائس، فى موقف أهالى قنا من المحافظ ميخائيل، وفى سيطرة «نعم» على «لا» فى الاستفتاء على الدستور، وفي كل الحوادث التي كان بطلها مسيحي ومسلم، حتى إن جاءت النتيجة في صالحه.

٣

والتاريخ يقول أيضاً أن الدولة – قوتها وضعفها – هى من تحدد أى الوجهين يسود، وأيهما يخمل، فى قوتها ..التعايش يسود، والقانون والعدل والكفاءة .. يحكمون، وتبين ذلك ثورة ١٩١٩، وتدلل عليه العلاقة الوطيدة بين الطرفين فى عهد عبدالناصر الذى ارتبط هو شخصياً بصداقة قوية مع البابا كيرلس، وحين ذهب إليه مجموعة من الأقباط يطلبون بناء كنيسة، اشترط قبل الموافقة أن تكون أكبر كنيسة فى الشرق الأوسط وأفريقيا ..فجاءت كاتدرائية العباسية.

وإذا وهنت الدولة، وغابت العدالة، وانتشر الفقر، وتوغل الجهل، وساد التعصب وتسلل الفساد إلى مفاصل الحكم، إذا

أعطت الدولة الأولوية لأولى الثقة عن أولى الكفاءة، طفى الوجه الآخر من العلاقة، وحدث الاضطهاد.

«هـ آيدرس بل»: إنه لمن الخطأ أن نعتقد أن الاضطهاد كان حملة متصلة، وأن الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالذات، فقد كانت متسامحة كل التسامح في المسائل الدينية، ولم تحاول أن تستأصل شأفة أي عبادة جديدة إلا بحجة منافاتها للمبادئ الأخلاقية، أوتعارضها مع السياسة العامة، وكان المسيحيون في نظر السلطات مواطنين أشرارًا، وعنصرًا خطرًا في المجتمع؛ وعند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبي، وكما قال ترتو ليانوس: فإذا فاض نهر التيبر على الجسور، أو غاض ماء النيل فلم يبلغ الحقول، أو أمسكت السماء عن المطر، أو زلزلت الأرض، أو حدثت مجاعة، أو انتشر وباء تعالت الصيحات على الفور: «اقذفوا بالمسيحيين إلى الأسود».

٤

منذ خانكة ٧٢ وحتى إسكندرية ٢٠١١، وبمراجعة بسيطة لحوادث الفتنة التى جرت مابينهما، أستطيع أن أصنفها إلى ثلاثة أنواع، الأول ..خاص ببناء الكنائس وإقامة الصلوات.. وهو الأكثر طفواً على سطح وسائل الإعلام، والثانى ..خاص بنزاعات فردية، وخلافات فى التعاملات اليومية المعتادة، أو سلوكيات سيئة تصدر عن أفراد بطبيعتهم سيئون، أو جرائم، تكبر .. وتأخذ منحنى أعلى عن المعتاد لأن طرفيها مسيحى ومسلم.

أما الحالة الثالثة ..فهي خارجة من رحم التعايش، قصص حب بين الطرفين.

الدولة تمسك فى يدها بحل الأولى ..بقانون عادل لدور العبادة، أقول عادل وليس موحد، ففي قانون دور العبادة الموحد- وكما قال الأنبا بولا، رئيس المجلس الأكليري، في تصريحات كثيرة له- ظُلم للمسلمين، لأنهم الأكثر عدداً، ولتحقيق العدل في هذه المسألة من الأفضل أن يخرج منها رجال الدين، وتخضع المسألة إلي العلم والهندسة والمساحة والحساب والإحصاء، تحديد سكان المناطق، حصرهم، وبما يتناسب مع هذا ومع احتياجاتهم، يتم بناء المساجد والكنائس.

كما تستطيع الدولة حل الثانية بتطبيق القانون، بشرط أن يكون هذا القانون عادل.

لكن ..ماذا تفعل فى الثالثة ..كيف تتحكم فى قلوب البشر، فى عواطفهم، دون أن تقف فى وجه الدين؟

٥

تعاملت الدولة مع الحوادث التى كانت العاطفة محركها، تحت مسميات عدة : التنصير، الخطف، التعذيب، التزوير، إثارة الفتنة ..و.، مسميات ليس من بينها المتهم الحقيقى ..

الحب

فهو المتهم الطليق ..المحرض – من وجهة نظري- على ٧٠٪ من حوادث الفتنة التى عانيناها خلال الأعوام العشر الأخيرة.

إن وراء حادثة تعذيب عامل، لشاب مسيحى فى الجيزة - وهى حادثة سبقت مجزرة كنيسة القديسين بالإسكندرية بـ ٤ أيام فقط – قصة حب جمعت بين الشاب المسيحى ، وابنة العامل.

قصة، غابت أهميتها بين زحمة أحداث رأس السنة، كان بإمكانها أن «تولع» مصر كلها لولا تدخل الأمن وفرضه كردوناً على المنطقة، فالعامل ضبط الشاب المسيحى فى بيته مع ابنته المسلمة .

مشاعر الشاب المسيحى لم تجعله يفكر في العواقب، كل ما فكر فيه أنه يريد رؤية الفتاه ..مقابلتها، فذهب إليها ..ولخوفهما من رؤية الجيران، دعته للصعود إلى المنزل، ولحظهما العثر ..عاد الأب مبكراً هذا اليوم، عاد ليجد الضيف غير متوقع فى بيته ..مع ابنته، والنتيجة ..حفلة تعذيب، دعى العامل إليها ابن شقيقه ..ليضعا الاثنان الشاب على خازوق بعد كى جسده بسكين ساخنة، وإطفاء السجائر فيه، حتى فقد الشاب المسيحى وعيه تماماً، أصبح فى حالة أقرب إلى الموت.

لم يحاول العامل أن يخفى جريمته، على العكس.. حمل الشاب وألقى به أمام بيته وأهله، بعد أن مزجت القضية عنده، الشرف بالدين.

وفى النيابة، أدلت الفتاة بتفاصيل تتكرر كثيراً، الاثنان يرغبان فى الزواج .. الشاب يعرض عليها التنصير ..

هى ترفض، فيقترح هو أن يدخل الإسلام .

نفس السيناريو، وان اختلفت التفاصيل والأسماء، تكررت فى حدائق القبة، الفرق الوحيد..أن الفتاة المسلمة هى التى كانت تتردد على بيت عشيقها المسيحى .

اكتشاف القصة بدأ من الجيران، جارة ..لاحظت تردد فتاة على منزل شاب مسيحى، سمعتها تنهى إحدى مكالماتها التليفونية بـ «محمد رسول الله»، إنها إذن مسلمة، وكيف لمسلمة أن تزور مسيحى فى بيته فى أوقات مريبة وغريبة، وتقضى فترات طويلة معه؟

الجارة ..تخبر السكان، مجموعة منهم يُبلغون قسم الشرطة، المباحث تراقب الشقة، وأثناء تأكدها من وجود الاثنين معاً، تداهم المكان، وتقتاد العاشقين إلى القسم.

وهناك ..تظهر المفاجأة، عقد عرفى ..عقد بلا شهود، كتباه ووقعا عليه بعد أن أصبحت حامل منه، بعد أن توصلا لأن الدين لن يستطيع التفرقة بينهما ..لن يمنعهما من البقاء معاً، وبعد أن قررا الاحتفاظ بالجنين الذى خرج للحياة بالفعل، حاملاً اسم أشرف.

«أشرف» ..لأب مسيحى وأم مسلمة، وهو ماتم تسجيله فى المحضر ٤٧٠٢ إدارى حدائق القبة.

وربما نتذكر حادث الأميرية، الذى راح ضحيته شاب مسلم -٢٥ سنة -، قتلاً برصاص بندقية آلية حملها شقيق زوجته المسيحي، اعتراضاً على زواجهما، اعتراضاً على إسلام شقيقته، بعد قصة حب عاصفة، كان نتيجتها الطفلة «نور» التى

أصيبت أيضاً فى الحادث.

وكان الحب والرغبة فى الزواج، سبباً فى هروب فتاة مسلمة من أهلها فى المنصورة مع مسيحى .. لتتزوجه، وفى القاهرة .. تم تنصيرها على يد قس ساعدهما فى الزواج، مثلما ساعدهما – بالتزوير – فى استخراج أوراق رسمية للفتاة تؤكد أنها مسيحية، وقد منحها إسم شقيقته المتوفاة لتتحول من «ريهام» إلى «مريم»، برشوة موظف مصلحة الأحوال المدنية .

واقعة تم اكتشافها بالصدفة، صديق لعائلة الفتاة يراها فى القاهرة، يتصل بأهلها ليمنحهم خبر العثور على ابنتهم المختفية، وحين يصلوا إليها يكتشفوا المصيبة، زواج وتنصير وتزوير، جرائم ضمها المحضر ٣٢٤ إدارى كرداسة / ٢٠٠٩.

ومثلما يلجأ البعض للتنصير يلجأ الآخر إلى الإسلام، ولعنا نتذكر تلك القضية الشهيرة التى أذاع تفاصيلها الكاتب الصحفى وائل الإبراشى، فى برنامجه «الحقيقة» نهاية ٢٠٠٥ فى حلقة حملت عنوان «اختفاء البنات القبطيات ..بسبب الحب أم إجبارهن على الإسلام ؟»، و تدخل الرئيس مبارك فيها شخصياً مطالباً الأمن بسرعة التحقيق فى شكوى أم مسيحية –فى البرنامج- اتهمت جهات إسلامية مجهولة بخطف إبنتيها القاصرتين فى ٢٠٠٣، وقتها ..ماريان – ١٧ سنة- وكريستين – ١٦ سنة - ، وإجبارهن على دخول الإسلام .

توصل الأمن للفتاتين، وجدهما متزوجتين فى مدينة كوم حمادة بمحافظة البحيرة، ومع كل واحدة منهما طفل، بعد اختفاء

عامين، ومعهما أيضاً فتاة ثالثة، لم يرد اسمها فى البرنامج، وإن خطت نفس الخطوات ..الإسلام والزواج والإنجاب.

أما التفاصيل، وكما جاءت فى التحقيقات، بدأت بتعرف سائق على الأخت الكبرى.. ماريان، ودخل بينهما الحب، تطورت العلاقة، لتصل إلى الزواج منه عرفياً بعد دخولها شفهياً، لأن سنها لم يكن يسمح لها بالإشهار الرسمى للإسلام، فلم تكمل بعد ٢١ سنة من عمرها، وهو نفس ما تكرر مع أختها كريستين وصديق للسائق، ونفس ما تكرر مع الفتاة الثالثة .. والصديق الثانى للسائق أيضاً.

لقد أنجبت كريستين .. «أميرة»، وأصبحت ماريان أم لـ «علي»، قبل أيام قليلة من معرفة الشرطة لمكانهما، أعلنت كريستين «احنا ماتخطفناش ..احنا كنا على علاقة حب مع أزواجنا، والآن نعيش عيشة كويسة جدا معاهم» .!

وفى ملوى بالمنيا، الحب يجمع بين قلب مسلم – بائع كشرى، ٢٠ سنة -، وقلب طالبة مسيحية – ١٧ سنة – زميلة شقيقته، من أجله.. هربت الفتاة من بيتها، ذهبت للعيش مع الشاب المسلم، بعد أن أقنعها بأن الإسلام هو الطريق الأمثل لاستمرار علاقتهما وتتويج قصة حبهما بالزواج.

كانت الصدمة على أهلها كبيرة، حين أعلنت أمامهم أنها لم تتعرض للخطف، وأنها تعيش معه باقتناع تام، إنها تحبه، وتريد الزواج منه.

ورغم هذا الإعلان، تجمهر ٥٠٠ مسيحى أمام المطرانية وجهاز

أمن الدولة، غاضبين ومعترضين، ولديهم الرغبة فى فعل أى شىء وكل شىء، لولا تدخل الأمن وإعادة الفتاة إلى أهلها بصحبة قساوسة، وبعد هذا الرجوع الإجبارى ..جرت شائعات عديدة عن قتل الفتاة مرة، ومرات كثيرة عن تسليمها لأحد الأديرة .

وفى الإسماعيلية، وكفر الشيخ، وبورسعيد، والمنوفية، وقنا، وأسوان، و..،

عشرات القصص التي سجلتها محاضر شرطة.

٦

أما أبطال القصص فلم يفرق معهم الدين، أن انتقال أحدهم من دين إلى آخر، ليس بالضرورة تأكيداً على الإيمان بهذا وكرهاً فى الآخر، إنما رغبة ملحة دفعت أصحابها للاستمرار في مثل هذه العلاقات، ومحاولة القليل منهم إيجاد اعتراف بها على أرض الواقع.

فـ الواقع يرفض.

المجتمع يرفض.

لا قانون يوافق على مثل هذه الزيجات.

لا زواج من مسيحي بمسلمة.

ولا زواج، أيضاً، من مسلم بمسيحية!

فـالدولة التي جعلت من الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للسلطات، فرأت قوانينها عدم وجود مانع لزواج المسلم بالمسيحية، هى نفسها الدولة التى وضعت فى سنواتها العشر

الماضية، الحصول على موافقة كتابية من الكنيسة، شرطاً لتوثيق هذا الزواج فى الشهر العقارى.

وكيف توافق الكنيسة على ذلك وهى لا تعترف به من الأساس؟ وهى تَحرم كل من ارتبط بمسلم من الدخول إلى الكنيسة والاعتراف؟

الكنيسة لا توافق على الزواج.

والكنيسة لا توافق على الطلاق أيضاً.!

قصص كاميليا وعبير وعشرات غيرها والتي انتفض لها المجتمع، وتعالت من أجلها الصيحات، هى فى الأساس حالات ترغب فى الانفصال، والدين لم يعطها هذا الحق، سواء ترغب فى الانفصال لأن صاحبتها ارتبطت بقصة حب مع مسلم، أو لملها الحياة مع زوجها المسيحى من الأساس وهي الأكثر انتشاراً، على العموم.. تكون النتيجة – فى الغالب- واحدة ..هروب، ودخول الإسلام، ليس حباً واقتناعاً -فى معظم الأحيان- بالإسلام، بقدر ما هو رغبة فى التخلص من علاقة أبدية ناتجة عن لفظية نص، «ما جمعه الرب لا يفرقه الإنسان». وهي مسألة، كتب فيها واجتهد فى تحليلها مفكرون مسيحيون كبار من داخل الكنيسة وعلمانيون من خارجها، صحيح أن هناك كنائس كثيرة فى العالم تعاملت مع النص بمرونة، لكن الكنسية الشرقية الأرثوزكسية احتفظت بموقفها.

أما الإسلام، وبرغم كثرة الاجتهادات، النتيجة الأكبر..لا زواج من مسلمة بغير مسلم.

٧

جيل جديد، وحالات عديدة لجأت إلى دول مجاورة بحثاً عن توثيق مدنى لزيجات من هذا النوع، اليونان وقبرص أشهرهما، وبعد التوثيق يعود الطرفان إلى مصر، ليحاولا الانعزال بعيداً عن أعين الأهل والقانون والعادات والتقاليد والدين.

إن أخطر مشكلة، ستواجه الدولة السنوات المقبلة، هى خروج مواليد جدد، لأب مسيحى وأم مسلمة، مواليد.. لا يجدوا من يعترف بوجودهم، رغم وجودهم.

ربما هذا ما دفع سيدة تعمل كوافيرة فى مدينة نصر، وهى مسلمة أنجبت طفلاً من مسيحى، تزوجته عرفياً، منذ ٥ سنوات بالضبط، لأن تحاول التزوير فى ديانتها وتغير اسمها، من أجل إثبات شرعية وجود ابنها في ورق الحكومة.

قالت لى تليفونياً، بعد أن رفضت مقابلتي، : «حتى هذا الحل لم يصلح، بسبب تسجيل البيانات إلكترونياً بالسجل المدنى»، وهو ما دفع الزوج لإشهار إسلامه فى النهاية، ليتمكنا من استخراج أوراق رسمية لابنهما، مع إحتفاظه فى الواقع ..فى حياته العادية بديانته المسيحية!

٨

إنه الحب يا صديقي.

لكنه الحب في زمن الفتنة.

المؤلف

أحمد عطا الله صحفي بمجلة الإذاعة والتليفزيون، شاعر وكاتب، ومعد برامج، وباحث أفلام وثائقية، وُلد في ١٠ نوفمبر ١٩٨٠، في محافظة قنا بصعيد مصر، حصل على ليسانس الآداب في الصحافة من جامعة جنوب الوادي ٢٠٠٢، معظم أعماله تركز علي التحقيقات الإنسانية ورصد القصص الواقعية والمثيرة للمجتمع المصري، وهو ما كان بارزاً في كتابه «الناس دول- حكايات من لحم ودم»، والقصة الحقيقة «مريم.. مع خالص حبي واعتقادي»، التي لاقت نجاحا بصدورها في ٢٠١٣.

شارك في إعداد برامج:

- الناس وأنا (حسين فهمي)- التليفزيون المصري، ORBIT showtime/ ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨.

- المخرج (ساندرا نشأت)- التلفزيون المصري/ ٢٠٠٩.

- جيم سؤال (أشرف عبد الباقي)- قنوات دريم / ٢٠١١.

- أجمل سنين عُمرنا(هيلدا خليفة)، رئيس فريق البحث،- CBC/ ٢٠١٤.

ترأس تحرير برامج:

- ولاد البلد (سلمى صباحي و إياد داوود)- صدى البلد/٢٠١٢.

- التفاحة (نيكول سابا)- دريم/٢٠١٢.

- مع إحترامي وتقديري (حسين فهمي)- التحرير/ ٢٠١٤.

وفي الأفلام الوثائقية:

- كتب وأعد وقدم الفيلم الوثائقي «الأرض الغاضبة»- الجزيرة/ ٢٠٠٩ .

- كتب وأعد ٤ أفلام وثائقية (أفلام ٧ دقائق) من كتابه «الناس دول»- الجمهورية tv/ ٢٠١١.

- باحث ومعد الفيلم الوثائقي «عندما واجه الشيخ إمام»/ تحت التنفيذ إنتاج شركة AROMA .

صدر له:

- الحتة بتاعتي(مقالات)- الطبعة الثانية/ ليلى ٢٠٠٩.

- الناس دول (حكايات من لحم و دم)- الطبعة الأولي/ العين ٢٠١١.

- بتضحك لما أكون غايب (شعر - عامية مصرية)- كتابي ٢٠١٢ .

- مريم مع خالص حُبي و اعتقادي (قصة حقيقية)- الطبعة الخامسة/ المصري للنشر والتوزيع ٢٠١٣.

للتواصل مع المؤلف:

E-Mail : atallaa7med@gmail.com

twitter.com/ahmedatalla

facebook.com/pages/-أحمد-عطاالله-
Ahmed-Atalla/154852071273528

الفهرس

أول فصل	٧
هوامش أول فصل	٥١
تاني فصل	٦٩
هوامش تاني فصل	١١٥
الفصل التالت والأخير	١٧٣
هوامش الفصل الثالث والأخير	١٨٣
الإهداء	١٨٧
الحب في زمن الفتنة -مقال-	١٨٩